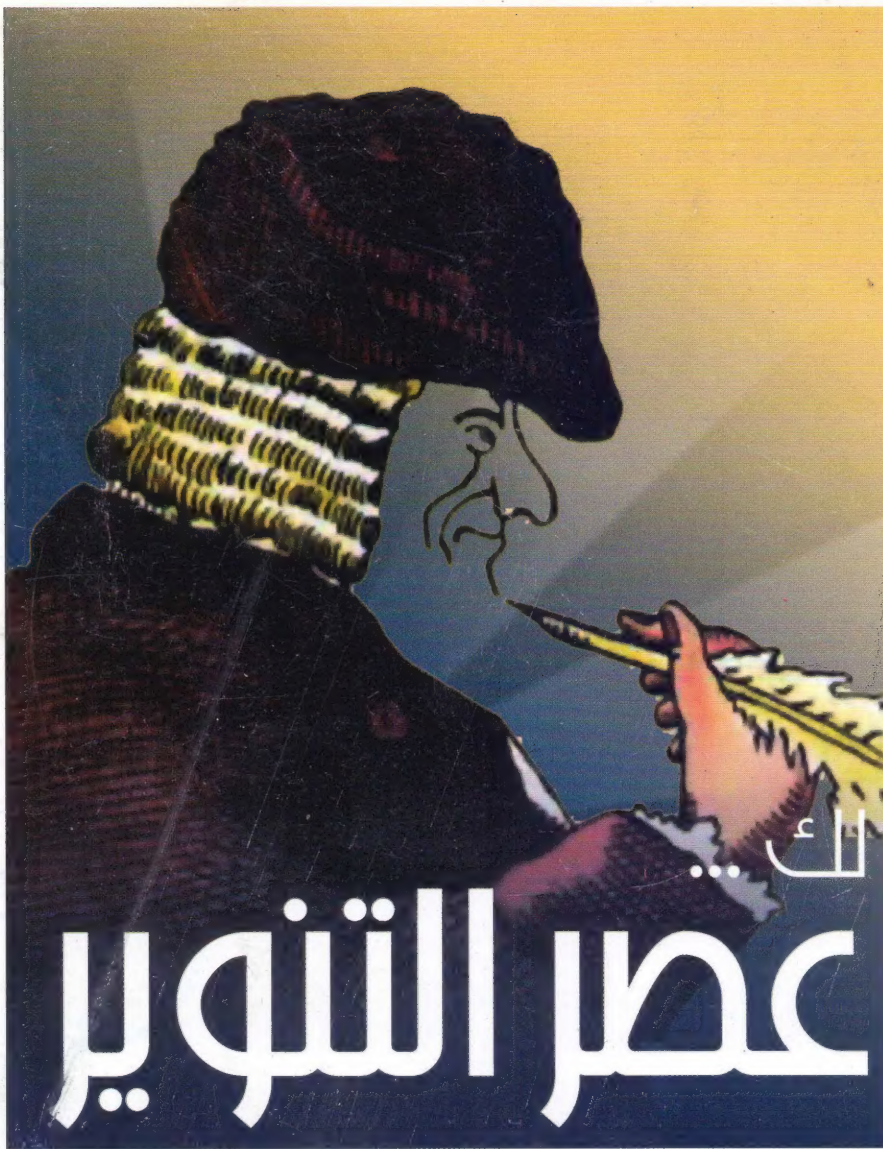


أقدم



< تأليف >

ليود سبنسر
أندريجي كروز

< ترجمة >

إمام عبد الفتاح إمام

Introducing... The Enlightenment & Llyd Spencer Andrzej Kraze

أقدم لك... هذه السلسلة !

يتناول هذا الكتاب بالدرس والتحليل عصرا من أهم العصور التي مرت على الإنسان في العصر الحديث ، وأعني به "عصر التنوير" في القرن الثامن عشر، رغم أنه يصعب تحديد العصر بقرن معين، ولعل هذا هو السبب الذي جعل المؤلف يبدأ كتابه بالحديث عن "الثورة المجيدة" في إنجلترا وهي التي نشبت في أواخر القرن السابع عشر.

والواقع أن عصر التنوير (أو الأنوار والاستنارة... إلخ) لم يكن مجرد حقبة متميزة أو تغير حاسم في التاريخ الإنساني فحسب، بل كان حركة سياسية، وعلمية، وأخلاقية هائلة، جعلت المثقفين في أوروبا والعالم الجديد يرتبطون في شبكة من الصداقة، والمشروعات المشتركة والمناقشات المتبادلة، ويبدئون في تحرير أنفسهم من سلطة الكنيسة، ويجدون معنى لرسالتهم وهي الدعوة إلى إعادة التفكير في العالم بمصطلحات دنيوية.

عصر التنوير

المشروع القومي للترجمة

أقدم لك ..

عصر التنوير

تأليف

ليود سبنسر

و

أندريجي كروز

ترجمة

إمام عبد الفتاح إمام

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

العدد: ٦٩٨

عصر التنوير

ليود سبنسر

أندريجي كروز

إمام عبد الفتاح إمام

الطبعة الأولى: ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب:

The Enlightenment

by: Llyd Spencer &
Andrzej Kraze

الصادر عن دار:

ICON BOOKS (2000)

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 Fax : 7358084

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المترجم	11
ليكن نور	13
تألق الملك المطلق وإشعاعه	14
باريس عاصمة التنوير	15
بدايات النور	16
إنجلترا والثورة المجيدة	17
عصر الثورات	18
المقاهى والنوادر الاجتماعية، والصحافة	19
الصفحة البيضاء عند لوك	20
لغة الذات	22
فهم حدود فهمنا	23
علم النفس.. والرواية	24
ترسترام شاندى	25
تأثير لوك الاجتماعى	26
قصص خيالية فى خدمة الحقيقة	27
مغامرات الـ	28
روايات الفلاسفة	29
كانديد	31
روايات عصر التنوير	32
فكرة المتوحش النيل	34
الرسائل الفارسية	36
قولتير يفر إلى إنجلترا	44
رسائل عن إنجلترا	45

46 نظرة فولتير عن الدين فى إنجلترا
48 حرية الضمير والروح التجارية
49 عن البرلمان
51 القديسون الرعاة فى عصر التنوير
52 أبو الفلسفة التجريبية
53 السياسة عند جون لوك
54 إسحاق نيوتن
55 نيوتن للمبتدئين
57 نيوتن: النموذج
58 فلاسفة التنوير
62 المرأة المستنيرة
65 سيدات مستنيرات
68 القارئ والرقيب
69 الصناعة والعلم
70 الموسوعة
72 شجرة المعرفة
73 مَنْ هم عظماء التاريخ ؟
74 أهمية الحرف أو التجارة
75 الميتافيزيقا والآلات
76 ذروة النجاح
78 الهجوم على فلاسفة التنوير
79 أزمة عام ١٧٥٨
80 مالشرب أو مسيو جيوم
81 الملك: ما له وما عليه
82 مغامرات مسيو جيوم
84 دينس دريدو
85 التاريخ السرى لروحه

86	ديدرو والأصدقاء
87	ما المقصود بالموسوعة ؟
88	الفن في عصر التنوير
91	چان چاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨)
92	تحديات روسو
93	مقال عن أصل التفاوت
94	قولتير في مواجهة التفاوت
95	الطبيعة والتاريخ
96	الطبيعة بوصفها نسقا: لينوس
97	الطبيعة بوصفها تاريخا: بوفون
98	فضيحة المذهب المادى
99	لامترى وهلقتيوس
101	المذهب المادى وتحسين الموجودات البشرية
102	هولباخ
103	مصنع المفكرين الأحرار
104	حلم دالمبير
107	البرلمانات الفرنسية
109	مونتسكيو وروح القوانين
111	القانون الطبيعى
112	التحفة المهملة
113	الحرية الفردية وحكم القانون
115	المستبد المستنير
117	فردريك الثانى : ملك بروسيا
118	كاثرين العظمى : ملكة روسيا
120	إرشادات للإمبراطورة
121	الكاهن.. والفيلسوف
122	الفلاسفة لن يشكلوا أبدا فرقة دينية

123 الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا
124 عصر التنوير بوصفه عصر الإيمان
125 الضرورة الاجتماعية للدين
126 وضع الخوف من جهنم
127 الكنسية، والدولة، والحقوق المدنية
129 الماسونية
131 صانع الساعات العظيم
132 مذهب الشك عند ديفيد هيوم
134 رسالة عن الطبيعة البشرية
137 موسيقى عصر التنوير
140 روسو المتوحش
141 رحلة إلى الباطن
142 اعترافات روسو
145 الرومانسى الأول
146 آدم سميث (١٧٢٣ - ١٧٩٠)
148 نظرية عن المشاعر الأخلاقية
150 ثروة الأمم عام ١٧٧٦
151 اليد غير المرئية
152 سميث و روسو
154 صامويل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤)
155 سميث ينضم إلى نادى دكتور جونسون الأدبى
156 بنيامين فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠)
157 الثورة الأمريكية
158 إعلان حقوق الإنسان
160 الفقير والعبيد
161 إدانة الرق
162 دفاع عن الرق

163	إمانويل كانط
165	ما المقصود بعصر التنوير ؟
167	عصر التنوير المضاد
170	جورج هامان (١٧٣٠ - ١٧٨٨)
171	اللغة أورانجون العقل
172	العاصفة والاندفاع
174	فولتير في فيرنى
175	رجل واحد: منظمة عفو دولية
176	الرعا ع
177	أزمة فى النظام القديم
178	الثورة الفرنسية
180	نهاية عصر التنوير
181	تأليه جان چاك
182	الجمهورية المثالية
184	مشروع عصر التنوير: انتهى أم لا؟
186	مراجع
187	سير ذاتية

مقدمة

بقلم المترجم

أقدم لك .. هذا الكتاب ... !

هذا هو الكتاب الحادى والخمسون من سلسلة «أقدم... لك!»، وهو يتناول بالدرس والتحليل عصرا من أهم العصور التى مرّت على الإنسان فى العصر الحديث، وأعنى به «عصر التنوير» فى القرن الثامن عشر، رغم أنه يصعب تحديد العصر بقرن معين؛ ولعل هذا هو السبب الذى جعل المؤلف يبدأ كتابه بالحديث عن «الثورة المجيدة» فى إنجلترا وهى التى نشبت فى أواخر القرن السابع عشر.

والواقع أن عصر التنوير (أو الأنوار والاستنارة... إلخ) لم يكن مجرد حقبة متميزة أو تغير حاسم فى التاريخ الإنسانى فحسب، بل كان حركة سياسية، وعلمية، وأخلاقية هائلة، جعلت المثقفين فى أوروبا والعالم الجديد يرتبطون فى شبكة من الصداقة، والمشروعات المشتركة والمناقشات المتبادلة، ويبدأون فى تحرير أنفسهم من سلطة الكنيسة، ويجدون معنى لرسالتهم وهى الدعوة إلى إعادة التفكير فى العالم بمصطلحات دنيوية.

ولقد كان المفكرون القادة لعصر التنوير فى القرن الثامن عشر يعتقدون أنه يمكن تفسير النظام الأساسى للكون عن طريق الجهود العلمية، وأنه يمكن السيطرة على كل مسارات الطبيعة والكشف عن أسرارها.

ويركز الكتاب على شخصيات رئيسية فى هذا العصر منها: فولتير، ومونتسكيو، وديدرو، وروسو، وهولباخ، ودالمبير، وديفيد هيوم... لكنه لا ينسى الرواد الذين امتد أثرهم قويا إلى هذا العصر، ومنهم الفلاسفة الإنجليز: جون لوك، وفرانسيس بيكون، وتوماس هوبز، وقبل هؤلاء جميعا إسحاق نيوتن.

كما عرض نماذج من كتاباتهم التي كان لها أثرها في عصر التنوير: الرسائل الفارسية، وروح القوانين لمونتسكيو، والعقد الاجتماعي وأصل التفاوت لروسو، ومقال عن الفهم الإنساني، ورسالتان في الحكم لجون لوك.. فضلا عن الروايات والقصص والمسرحيات التي احتوت على الكثير من الأفكار التنويرية، لكنه توقف طويلا عند «الموسوعة» الشهيرة والمواد التي تضمنتها والصعوبات التي صادفت نشرها، وتوقف العاملين بها ثم معاودة الكتابة، ومصادرة السلطات لها، والجهود الجبارة التي بذلها فلاسفة التنوير لإصدارها، بمعاونة بعض الملوك ومعارضة بعضهم الآخر.. إلخ، وفرار فلاسفة التنوير خوفا من ملاحقة السلطات لهم: فولتير إلى ألمانيا، وإلى إنجلترا، وروسو إلى جنيف ثم إلى إنجلترا، وديدرو إلى روسيا.. إلخ. فتاريخ كتاب «الموسوعة» التي اعتبرت إحدى إنجازات عصر التنوير العظيمة - ملئ بالأشواك والمصاعب والعرق والدموع! كما يكتب المؤلف أيضا عن آدم سميث، وصامويل جونسون، وإمانويل كانط، وبنيامين فرانكلين، وتوماس جيفرسون كما يكتب عن الماسونية والأعضاء البارزين فيها: فهو إذن بحث مركز، وإن كان شاملا، في حيز ضيق عن عصر من أخطر عصور الحضارة.

ومن هنا كان الكتاب بالغ الأهمية لكل مثقف يريد أن يلمَّ بعصر التنوير في عجالة سريعة...

نرجو أن نكون قد وفقنا في نقله إلى اللغة العربية...

والله نسأل أن يهدينا جميعا سواء السبيل،

المشرف على سلسلة «أقدم لك ..»

إمام عبد الفتاح إمام

ليكن نور..

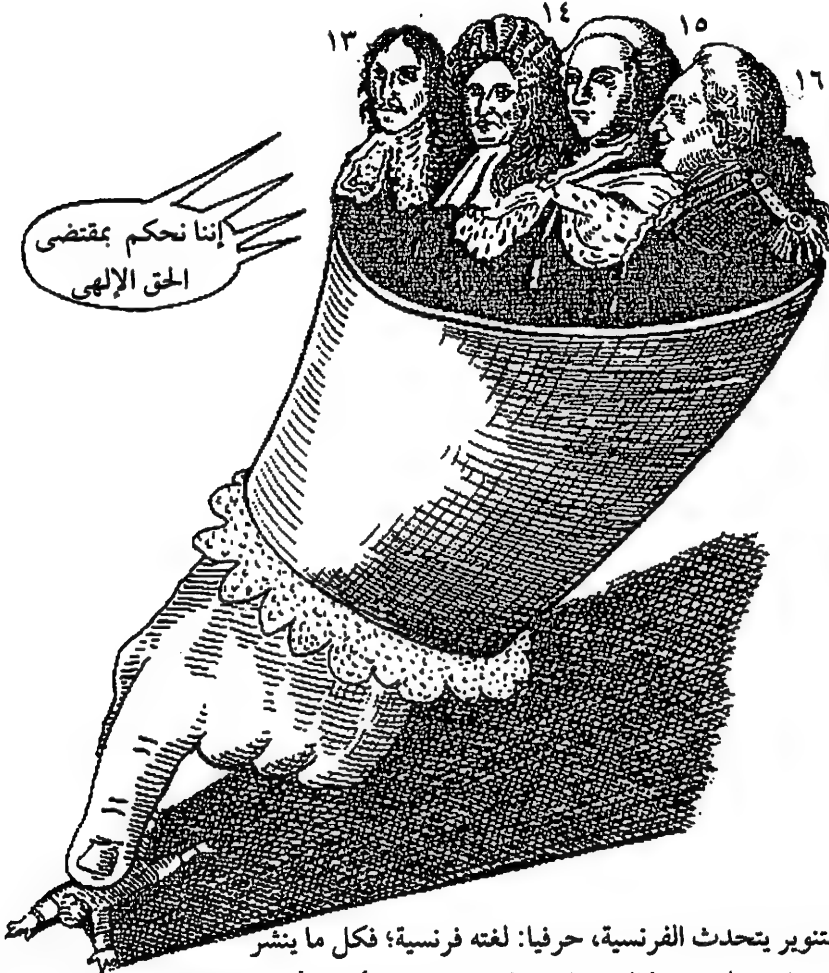
كان التنوير تيارا عقليا حرك أوروبا كلها إبان القرن الثامن عشر، وتركز في باريس، ثم انتشر منها في كل أرجاء أوروبا ومنها إلى المستعمرات الأمريكية، فكانت هناك شبكة من الكتاب والمفكرين، أعطت للقرن الثامن عشر تماسكا عقليا ملحوظا.



لقد شعر مثقفو عصر التنوير بأنهم جزء من حركة عظيمة تمثل التطلعات العليا والإمكانات الرفيعة للجنس البشري، فهم مصلحون يؤمنون بأن قضيتهم يمكن خدمتها على أفضل نحو عن طريق عاطفة جديدة للبرهان، والنقد، والنقاش.

تألق الملك المطلق وإشعاعه

فى فرنسا كان عهد الملك المطلق: لويس الثالث عشر (١٦٠١ - ١٦٤٣)، ولويس الرابع عشر - الملك الشمس - (١٦٣٨ - ١٧١٥)، ولويس الخامس عشر، ولويس السادس عشر (١٧٥٤ - ١٧٩٣) قد جعل من باريس عاصمة الثقافة فى العالم، وخلق فى الوقت ذاته جمهوراً وهدفا للإصلاح فى التنوير الفرنسى.



التنوير يتحدث الفرنسية، حرفياً: لغته فرنسية؛ فكل ما ينشر فى فرنسا تتقبله فى الحال جماعة المثقفين فى كل أنحاء أوروبا، والمؤلفات المهمة التى لم تكتب أصلاً فى فرنسا سرعان ما تترجم إلى اللغة العالمية. ويعلن رجال الأدب والثقافة فى أنحاء العالم أنهم تلاميذ للكتاب الفرنسيين.

باريس عاصمة التنوير



كان ذلك صحيحا بالنسبة إلى ديفيد هيوم، وآدم سميث في إسكتلندا بقدر ما هو صحيح بالنسبة إلى بنيامين فرانكلين وتوماس جيفرسون في المستعمرات الأمريكية، وسيزار بيكاريا في ميلان. فهم يعرفون أنهم «وصلوا» عندما يقبلون في صالونات باريس. فجماعة البلاط في جميع أنحاء أوروبا، وكذلك طبقة البرجوازيين الأثرياء ينظرون إلى فرنسا على أنها النموذج للدولة.



فرنسا تعترف نعمة الفنون والآداب وهندسة العمارة.

وعادات الصالونات، والطهو، والصحافة، والموضة الفرنسية هي تجسيد للحضارة.



كتب أحد الإقطاعيين في مقاطعة سسكس الإنجليزية يقول: «الرجل الذي يفهم الفرنسية يستطيع أن يتجول في أنحاء العالم دون خوف من أن لا يفهمه أحد، وفي استطاعته أن يكون مقبولا تمامًا من كل صفة جيدة، وهو ما لا يحدث في أية لغة أخرى مهما كانت».

بدايات النور

كتب لورد شافتسبري في ٦ مارس عام ١٧٠٦ رسالة إلى «لوكليرك» يقول فيها: «هناك نور قوى ينتشر في جميع أنحاء العالم، لاسيما في تلك الدول الحرة مثل إنجلترا وهولندا، فهي أكثر الدول تحرراً في أوروبا، فأستردام تقدم مأوى للمفكرين الأحرار والمتشقين دينياً من كل صوب». وفي عام ١٦٦٧ كتب الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) «رسالة في التسامح»^(١) وارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمتأمرين البروتستانت ضد حكم الملك الكاثوليكي جيمس الثاني (١٦٣٣ - ١٧٠١).



وهناك توافر لوك على كتابة مؤلفاته الرئيسية «مقال حول الفهم البشري» و «رسالتان عن الحكومة»^(٢) ولقد ظل هذان الكتابان موضع مناقشات حادة إبان عصر التنوير.

(١) ترجمها عن اللاتينية الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت عام ١٩٨٨ .
(المترجم)

(٢) ترجمها إلى العربية الدكتور ماجد فخري تحت عنوان «في الحكم المدني» للجنة الدولية لترجمة الروائع عام ١٩٥٩ . (المترجم)

إنجلترا و «الثورة المجيدة» (١)

المقاومة المستمرة للملك جيمس الثاني وأنشطته الكاثوليكية جعلت البرلمان الإنجليزي يستدعى وليم الثالث البروتستانتي الهولندي «أون أورانج» (١٦٥٠ - ١٧٢) وزوجته الثانية ماري الثانية لتولي عرش إنجلترا، فأبحرا من هولندا وأحدثا بذلك ثورة غير دموية هي التي تسمى باسم «الثورة المجيدة» عام ١٦٨٨.



ولقد أرست هذه الثورة - بالقطع - سيادة البرلمان الإنجليزي، وأصدرت إنجلترا ما سمي باسم «لائحة الحقوق»، وسرعان ما ظهرت إصلاحات أخرى في إنجلترا أكثر الدول ليبرالية وتحررا في أوروبا. وسمح قانون التسامح عام ١٦٨٩ لمعظم المشيقيين البروتستانت بما في ذلك بعض الفرق من أمثال الكويكرز - بالعبادة في حرية دون أن تكون لهم وظائف عامة. وفقدت كنيسة إنجلترا احتكارها للعبادة الدينية، والتربية، والبقايا الأخيرة من سيطرتها على الصحافة في عام ١٦٩٥.



(١) يطلق تعبير «الثورة المجيدة» في التاريخ الإنجليزي على أحداث السنوات (١٦٨٨-١٦٨٩) التي أدت إلى خلع جيمس الثاني وتولية وليم ٣ «أورانج» البروتستانتي وزوجته ماري ٢ اللذين قبلتا قانون الحقوق، وأقرا سيادة البرلمان. (المترجم)

عصر الثورات

العاصمتان العالميتان الكبيرتان: باريس ولندن، نمتا معا بطريقة درامية إبان القرن الثامن عشر، إلا أن القوة التجارية لإنجلترا كانت تعنى أن لندن أكثر تقدما، فقد كانت إنجلترا في النصف الأول من القرن تمر بثورة زراعية، وفي النصف الثاني من القرن تقدمت الثورة الصناعية بضع خطوات.



لقد حاولت هذه الثورات أن تضع مبادئ عصر التنوير موضع التطبيق العملي.

المقاهى، والنوادر الاجتماعية، والصحافة

كان ذلك أيضاً عصر صحافة الأفكار، والألفة العامة أو المؤانسة. كما كانت المقاهى الحياة الثقافية فى لندن، فلم يحل عام ١٧٤٠ إلا وكان هناك أكثر من ٤٠٠ مقهى فى منطقة وستمنستر وحدها. واستخدمت البنوك المقاهى، كما استخدمتها شركة الهند الشرقية للتجارة، وأصبحت مقهى «لويد» فى عام ١٦٩١ هى «لويد لندن»، أى مركز التأمين البحرى.



الصفحة البيضاء عند لوك

كان الكتاب الأساسى فى القرن الثامن عشر للفيلسوف ولغير الفيلسوف على السواء هو كتاب جون لوك «مقال عن الفهم البشرى» عام ١٦٩٠ . كان المعتقد الفلسفى عند معظم مفكرى عصر التنوير، تقريبا، هو مبدأ جون لوك القائل بأن الذهن يولد «صفحة بيضاء» وأنه ليس هناك أفكار «فطرية» وأن كل معرفة مستمدة من التجربة.

دعنا الآن نفترض أن الذهن يولد ورقة بيضاء خالية من كل خصائص، وبلا أية أفكار، فكيف تتأث هذه الصفحة؟ من أين يأتى لها هذا المخزون الهائل الذى يرسم منه خيال الإنسان الذى لا حد له هذا النوع اللانهائى تقريبا...؟! من أين تأتى كل مواد العقل والمعرفة...؟ عن هذه الأسئلة كلها أجيب بكلمة واحدة هي: من التجربة.



كان رأى لوك التجريبي يستهدف أساساً عقلانية رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠)

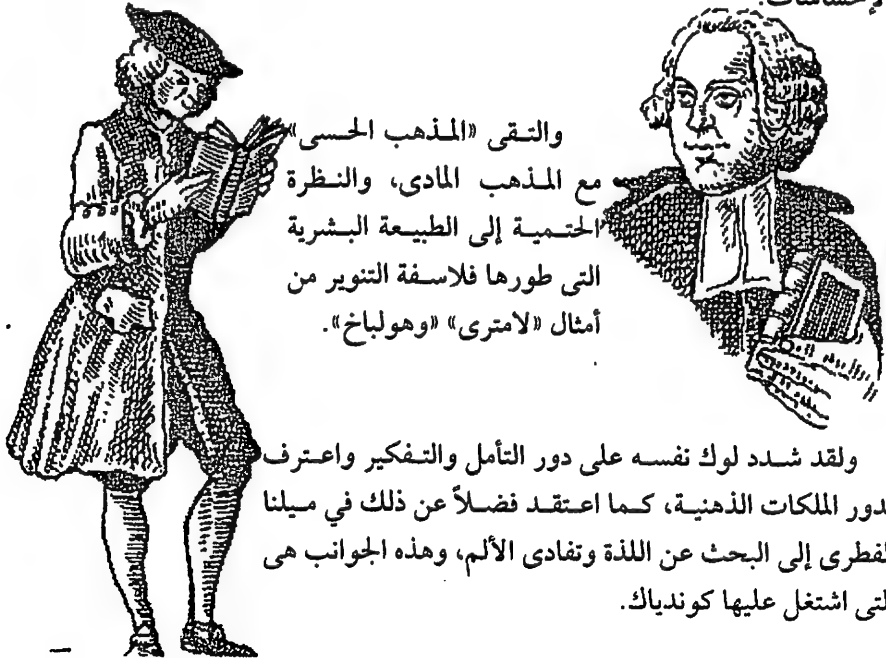


هناك أفكار (مثل فكرة: الله، الذهن، البدن، أو فكرة المثلث) يمكن لنور العقل وحده أن يصل إليها، وهى لهذا السبب تسمى أفكاراً «فطرية».

تفرق تجريبية لوك بين نوعين من التجربة: الإحساس الخارجى والتأمل الداخلى.



وفى فرنسا عمد إيتين كوندياك (١٧١٥ - ١٧٨٠) إلى جعل فلسفة جون لوك شعبية، فأكد فى كتابه «مقال عن أصل المعرفة» عام ١٧٤٦ دور الانطباعات الحسية أو الإحساسات.



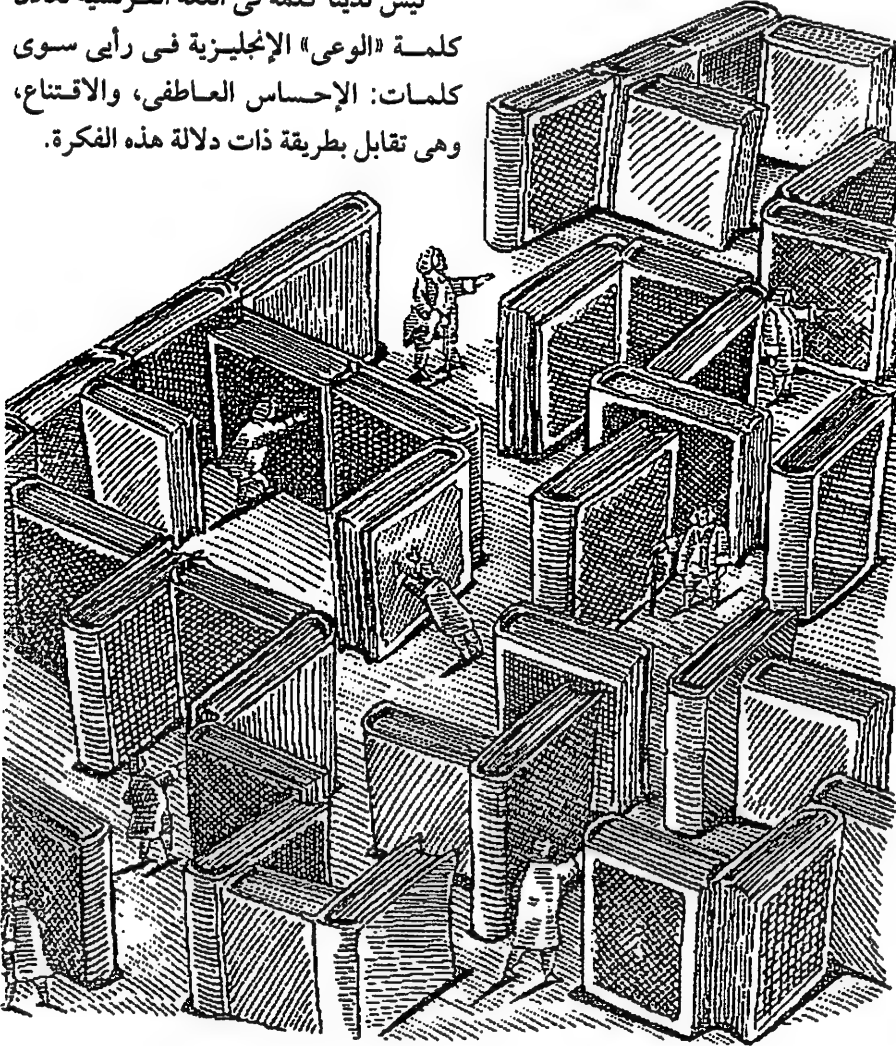
والتقى «المذهب الحسى» مع المذهب المادى، والنظرة الحتمية إلى الطبيعة البشرية التى طورها فلاسفة التنوير من أمثال «لامترى» و«هولباخ».

ولقد شدد لوك نفسه على دور التأمل والتفكير واعترف بدور الملكات الذهنية، كما اعتقد فضلاً عن ذلك فى ميلنا الفطرى إلى البحث عن اللذة وتفادى الألم، وهذه الجوانب هى التى اشتغل عليها كوندياك.

لغة الذات

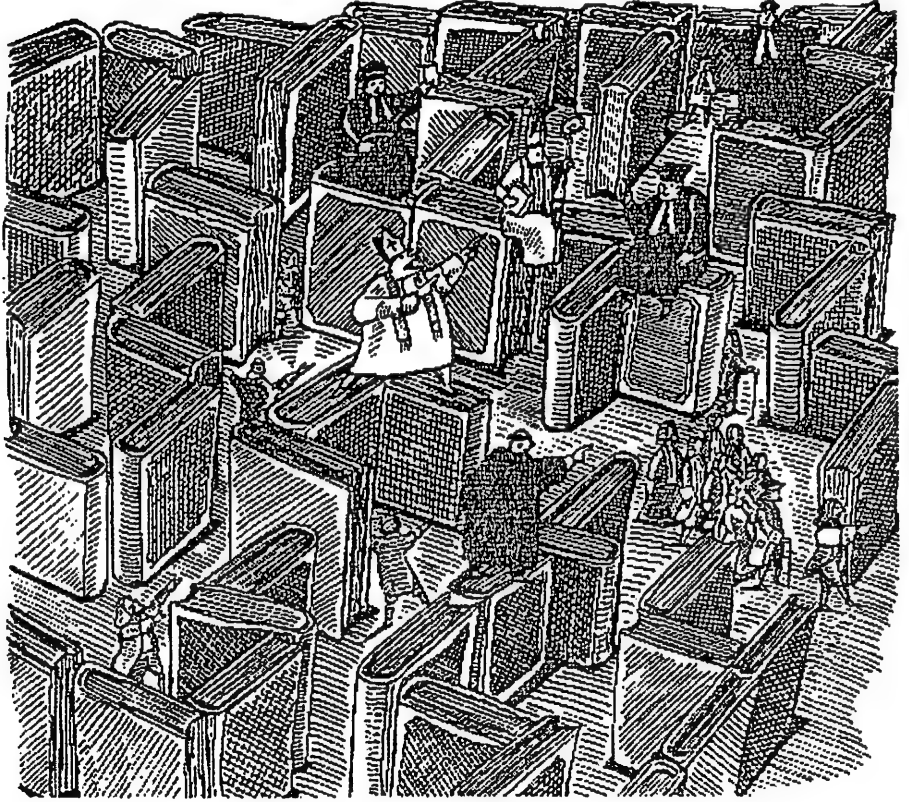
أدخل «بيير كوست» الذى ترجم كتاب جون لوك: «مقال عن الفهم البشرى» عام ١٧٠٠ ملحوظةً يشرح فيها لماذا ترجم مصطلح «الوعى» بكلمة «الضمير» الفرنسية فقط ليستشهد بعبارة ششرون «الوعى الأخلاقى يعنى معرفة الإنسان لنفسه»، لكنه يعترف بأنه انحرف بكلمة الضمير الفرنسية من معناها العادى المألوف ليعطيها معنى لم يكن لها أبداً فى اللغة الفرنسية.

ليس لدينا كلمة فى اللغة الفرنسية تعادل كلمة «الوعى» الإنجليزية فى رأى سوى كلمات: الإحساس العاطفى، والاعتناع، وهى تقابل بطريقة ذات دلالة هذه الفكرة.



فهم حدود فهمنا

لعدة مئات من السنين ظلت أرض السيرة الذاتية محجوزة كلها للقساوسة والمعتزفين، وكانت الكنيسة تملك لغة غنية متطورة للمبادئ الأخلاقية. ودراسة لوك للفهم البشري قادت إلى تطوير لغة جديدة عن الجوانب التي يمكن أن نسميها لغة سيكولوجية. ولم تكن كلمة السيكولوجيا تستخدم كثيرا في القرن الثامن عشر، ولقد شرع لوك في توجيه نقد مدمر لما كان لدى أساتذة الجامعات في العصور الوسطى من «نسيج من الكلمات المربكة الغريبة والتي لا يمكن تفسيرها». وبدأ يخطط لتحكم جديد للجانب الداخلي.



فهمنا محدود، وعلينا أن نقبل حدوده، لكن داخل الحدود المفروضة علينا، دعنا نمارس أقصى فهم ممكن عن طريق دراسته والوقوف على طريقة عمله.. وينبغي علينا أن نلاحظ كيف تتشكل أفكارنا وكيف تتجمع وتترابط الواحدة مع الأخرى، وكيف تحتفظ بها الذاكرة. وبالنسبة لهذا النشاط كله، فمازلنا نجعله حتى الآن جهلا تاما.

علم النفس... والرواية

علم النفس، كما فهمه القرن الثامن عشر، هو العلم الذى خطط له جون لوك، وكان كتاب «المقال ...» لجون لوك المنيع والمصدر الأساسى لضرب من الأدب يتعامل مع «ردود أفعال الذات» المتماسكة أو غير المتماسكة للانطباعات التى تؤثر فيها وتشكلها.

أنا لا أدين بشيء للطبيعة
لكنى أدين بكل شيء لدراسة
طويلة ومتأنية لكتب عظيمة
معينة : العهد القديم، والعهد
الجديد، ولـ «جون لوك»
الذى بدأت فى قراءته وأنا
شاب وواصلت قراءته حتى
الآن.



فى الوقت الذى كان لورنس ستيرن (١٧١٣ - ١٧٦٨) يكتب روايته «حياة وآراء ترسترام شادى» (١٧٥٩ - ١٧٨٧) كان كتاب «المقال ...» لجون لوك يتغلغل فى الوعي الأدبى بطريقة تختلف أتم الاختلاف عن أى كتاب «فلسفى» آخر، بل إن رواية ستيرن تقدم لمحة مختصرة عن كتاب جون لوك العظيم.

ترستردام شاندى

صل ، يا سيدى فى كل قراءة تقرؤها، هل قرأت فى أية قراءة قرأتها كتابا مثل كتاب جون لوك «مقال عن الفهم البشرى»؟ لا تتسرع فى الإجابة لأننى أعرف أن كثيرين اقتبسوا من الكتاب ولم يقرءوه وأن كثيرين قرءوه، ولم يفهموه.



لو كانت حالتك هى أيا من
هايتن الحاليتين، فإننى سوف
أخبرك فى ثلاث كلمات ما هو
هذا الكتاب: إنه تاريخ - تاريخ
لمن؟ ولماذا؟ وأين؟ ومتى؟..

.. إنه كتاب فى التاريخ.. تاريخ ما مرَّ على ذهن الإنسان، وإذا ما أردت أن تقول
الشيء الكثير عن الكتاب، بغير زيادة، صدقنى أنك لن تتجاهل أية شخصية حقيرة فى
دائرة الميتافيزيقا.

.. تأثير لوك الاجتماعي

تجاوز تأثير جون لوك المدارس والجامعات، والمجتمعات المثقفة والأكاديميات؛ فقد أصبحت أفكار «لوك» «خصائص» لازمة للنخبة المثقفة.



قصص خيالية فى خدمة الحقيقة

كان هناك تفاعل مستمر فى أدب القرن الثامن عشر بين الفلسفة والقصة الخيالية، وهذه الروايات تراث يمتد إلى الوراء حتى الإمبراطورية الرومانية، إلا أن القصة الخيالية فى عصر التنوير واجهت مهاماً جديدة، وملحة.

والقصة الخيالية تناسب بطريقة فريدة السن التى يقوم فيها الفتى - أو الفتاة - بشق طريقه إلى العالم، أما القراء الذين يزداد حب استطلاعهم ومعلوماتهم فيتوقعون حكايات عملية وغوذجية. وتوضع الأفكار المتلقاة على محك اختبار التجربة، وتقاسى الأعراف الأدبية من مطالب الواقع غير المنظم.

لقد كانت الرواية فى عصر التنوير تتميز بتركيزها على الفرد الواحد وتتحقق من أثر العالم الذى لا يمكن التكهن به على تجارب هذا الفرد.



تم البرهنة مرة بعد مرة على
مسلمة لوك القائلة بأننا يصنعنا
ما يمر بنا من أحداث.

وهناك نوع آخر من المعرفة يجاوز سلطة
التعليم ويمكن تحصيله عن طريق المناقشة، ولا
يمكن للكشف العملى الحقيقى أن يُعرف إلا
عن طريق العالم فحسب.



- (١) دانيال ديفو (١٦٦٠ - ١٧٣١): أديب إنجليزى كتب روينسون كروزو عام ١٧١٩ . (المترجم)
(٢) فيلدنج، هنرى (١٧٠٧ - ١٧٥٤): روائى وكاتب مسرحى إنجليزى كتب «جوزيف أندروز» التى وصفها بأنها «ملحمة هزلية» كما كتب مسرحيات كلها كوميدية . (المترجم)

مغامرات الـ ...

يسافر أبطال القرن الثامن عشر وبطلاته حول العالم فى رحلاتهم التشردية، أملين فى تحسين أنفسهم وتحسين مصيرهم فى الحياة، وهم يحاولون - على أقل تقدير - تدعيم شعورهم بقيمتهم الذاتية فى مواجهة الشدائد والمحن والفساد، والغواية.



فى كثير من هذه القصص نلتقى بالشخصية الرئيسية وهى متورطة فى مشكلة أخلاقية أو مأزق أخلاقى، وكثيرا ما نعلم كل حركة يقوم بها، وبكل نزوة يعانون منها، من خلال الخطابات التلقائية التى يكتبونها.

رواية بامبلا (للروائى الإنجليزى صمويل ريتشاردسن)، هلويز الجديدة (لجان چاك روسو) آلام فترت الشاب (لجوته)، العلاقات الخطرة (شودر لوز دى لاكلوز).

روايات الفلاسفة

الروائيون فى عصر التنوير لم يستعبروا، ببساطة، مجموعة من الأفكار الفلسفية، وإنما جعلوها درامية ووهبوا الحياة، ولقد كتبت بعض الروايات العظيمة فى هذا العصر بقلم أعظم فلاسفته أهمية. فقد كانت «هلويز الجديدة» التى كتبها جان چاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) أكثر القصص رواجاً فى القرن الثامن عشر، كما لاقت «الرسائل الفارسية» لمونتسكيو، و«كانديد» لفولتير نجاحاً فى كل أوروبا، أما التحفة الأدبية لديدرو فكانت: «چاك المؤمن بالقضاء والقدر».



مثل قصة ديفو «روبينسون كروزو»، لكن على نطاق أصغر، هذه القصص عبارة عن «تجارب فكرية».

وتشمل حكايات فولتير رواياته:
كانديد، والحكايات الأقصر،
ومكر ميجاس، وزاديج، والساذج، والثور
الأبيض.



وكانت إحدى السير الذاتية المبكرة التي كتبها فولتير، يعترف الماركيز دي كوندورسيه (١٧٤٣ - ١٧٩٤) بالعقوبة الفنية التي ظهرت في كتابة «كانديد» وغيرها مثل الحكايات الفلسفية، فمن سوء هذا الجنس أن ظهر بمظهر السهل البسيط، «لكنه يتطلب مواهب نادرة مثل أن تعرف كيف تعد بلعبة الذكاء والخيال - أو حتى بأحداث القصة - نتائج فلسفية عميقة دون أن يتوقف عن أن يكون طبيعيًا، وكيف يكون لادعا دون أن يكف عن أن يكون صادقًا، فعلى المرء أن يكون فيلسوفًا، دون أن يبدو أنه كذلك». كوندورسيه.

كانديد

سخر فولتير في قصة كانديد أو التفاؤل «عام ١٩٥٩» لا من التفاؤل فقط، بل من جميع أشكال المذهب من ليبنتز ومذهبه الميتافيزيقي إلى مذاهب الكنيسة والمذاهب الاستعمارية، بل حتى مذهب المنطق نفسه - والقصة تتبع البطل «كانديد» في معظم العالم المعروف في ذلك الوقت عارضاً أنواع النفاق والجنون ومؤسساته ومواقعه. وكان يصاحب «كانديد» دكتور «بانجلوس» الذي يردد ترديداً يساغوياً لصورة ممسوخة غير منطقية لمذهب ليبنتز، وكان يؤمن إيماناً لا يتزعزع بأن المنطق والعقل يمكن أن يبررا جميع شرور الوجود بأن يتجاهلا الوقائع ميتافيزيقيا، وتنتهي الرواية عندما يدرك كانديد في النهاية أن العمل أكثر نفعاً من النظر الفارغ.



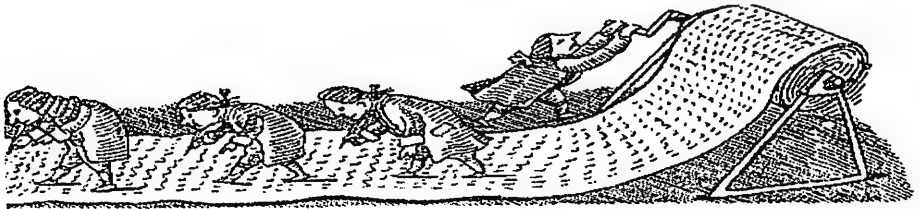
روايات عصر التنوير

دانييل ديفو (١٦٦٠ - ١٧٣١): كان من أوائل الكتّاب الذين كتبوا عيشهم ككتّاب محترف مستقل، فقد كتب أكثر من خمسمائة عمل تم نشرها بما في ذلك الكتابات الصحفية السياسية والدينية. في عام ١٧٠٤ عندما كان يعمل موظفا حكوميا بدأ في نشر صحيفته الخاصة، بعنوان، الصحيفة النقدية The Review وكانت الصحافة هي الأساس في نشر بعض الكتب الرئيسية مثل «يوميات سنة الطاعون» ١٧٢٢، وكان ديفو تقريبا في الستين من عمره عندما كتب أول قصصه الخيالية: «روبنسن كروزو» عام ١٧١٩، ثم أعقبها قصص أخرى مثل: «حظ وبؤس مول فلاندرز الشهيرة» ١٦٢٢، و«روكسانا السيدة المحظوظة» عام ١٧٢٤، و«جوناثان سويفت» ١٦٦٧ - ١٧٤٥ الذي أرسل إلى لندن مبعوثا للكنيسة الأيرلندية. وكتب العديد من النشرات وأسس نادي التهكم مع غيره من الساخرين من أمثال مبتكر شخصية «جوبول»^(١) جون آريشوت (١٦٦٧ - ١٧٤٥)، والشاعر ألكسندر بوب (١٦٨٨ - ١٧٤٤)، والكتّاب المسرحي جون جاي (١٦٨٥ - ١٧٣٢)، وفي عام ١٧٢٦ نشر سويفت كتابه الساخر العظيم: «رحلات جاليفر». ولقد استهدفت روايات صموئيل ريتشاردسن (١٦٨٩ - ١٧٦١) إدخال الجانب الأخلاقي في صورة جديدة تسمى كتابة اللحظة: «بامبلا أو جزاء الفضيلة» (عام ١٧٤٠)^(٢) وكلاريسا أو تاريخ سيدة شابة (١٧٤٧ - ١٧٤٨)^(٣) وهي مكتوبة على شكل رسائل المفترض أنها أرسلت مباشرة بعد تورط الناس، وهذا الأسلوب في السرد القصصي سخر منه هنري فيلدينج (١٧٠٧ - ١٧٥٤) بروايته «شامبلا» عام ١٧٤١، وكانت مسرحيات فيلدينج الساخرة قد استفزت فقرة من قانون الرفض (عام ١٧٣٧) والرقابة على المسرح. ففي مقدمته لرواية «جون أندروز» عام ١٧٤٢ يعترف فيلدينج بأنه متحير فيما يطلقه على شكل قصته الخيالية أهي «قصيدة ملحمة كوميدية في قالب نثري». ورواياته الرئيسية الأخرى هي «جوناثان وايلد» عام ١٦٣٤، وتوم جونز ١٧٤٩، والمثل الذي وضعه فيلدينج تابعه الروائي الأسكتلندي طوبياس سمولت (١٧٢١ - ١٧٧١) الذي كتب روايات رودريك راندم (١٧٤٨) و«مغامرات بريجرين بيكل» ١٧٥١ و«مغامرات سير لانسوف جريفز» ١٧٦٢ و«حملة همفري كلينكر» ١٧٧١. وتبنى جون كيلاندر (١٧٠٩ - ١٧٨٩) شكل الرواية ليروي ذكريات امرأة المتعة «تعرف عادة باسم فاني هيل» وابتكر رواية كلاسيكية من الأدب المكتشف.

-
- (١) شخصية ابتكرها جون آريشوت ليروي من خلالها بصورة فكهة خصومات نيقولا فروج (لويس الرابع عشر) ولم يستطع أحد كتابة التاريخ على هذا النحو الهجائي الطريف. (المترجم)
- (٢) «بامبلا» قصة خادمة صبية جميلة يحاول سيدها أن يغريها بشئ الوسائل ولا يفلح ثم يتزوجها أخيراً ولا يندم على هذا الزواج. (المترجم)
- (٣) كلاريسا فتاة من الريف، نبيلة جميلة ناعمة سعدت على الأرض سعادة الملائكة إلى أن ظهر «لثقيس» الشيطان في صورة إنسان... إلخ. (المترجم)

فى لحظات يائسة بسبب حاجته الملحة إلى المال لمساعدة أمه المريضة لم يستغرق صموئيل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) سوى أسبوعين فقط لكتابة «تاريخ راسلاس : أمير أيسينيا» (١٧٥٩) وهى رواية أخلاقية تسير فى تواز دقيق مع رواية فولتير «كانديد» ونشرت فى العام نفسه، وأخرج كاهن إنجليزى هو لورانس ستيرن (١٧١٣ - ١٧٦٨) أكثر الروايات غربة فى عصر التنوير وهى «حياة ترسترام شادى وآراؤه» فى تسعة مجلدات (١٧٥٩ - ١٧٦٧) وكتابه الرئيسى الثانى «رحلة عاطفية» (عام ١٧٦٨) يمثل أدب «الحس الرفيع» أو رقة المشاعر الذى كسب أرضا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر.

وكان أبوه بريفوست (١٦٩٧ - ١٧٦٣) من الصحفيين المتحمسين ومترجماً دءوباً لا يكمل ولا يمل، دائم التردد على حلقات الفلاسفة، قدمت روايته الشعبية «مانوث ليكو» عنصراً تراجيدياً فى جنس الرواية، كان بيير كارليه دى ماريفو (١٦٨٨ - ١٧٦٣) كاتباً مسرحياً فرنسياً رائداً فى القرن الثامن عشر، كتب «حياة مارين» (١٧٣١ - ١٧٣٢) و«الفلاح محدث النعمة» (١٧٣٤ - ١٧٣٥) ومجموعة من القصص الجميلة، رغم أنها لم تتم، استرعت انتباه فرنسا المعاصرة، وكانت «الرسائل الفارسية» لمونتسكيو عام ١٧٢١ أكثر كتب القرن رواجاً حتى ظهور رواية «كانديد» لفولتير التى نشرها فى باريس وجنيف، ولندن، وبروكسل فى وقت واحد ليجعل الرقابة عليها مستحيلة، ولقد ظهرت ترجمتها الإنجليزية فى ستة أسابيع. وهناك القصص الخيالية الخطيرة لـ «ديدرو» مثل «الراهبة» عام ١٧٦٠، و«ابن أخ رامو» عام ١٧٦٣ وكتابه الرئيسى «جاك المؤمن بالقضاء والقدر» فى ١٥ حلقة (١٧٧٨ - ١٧٨٠) وكثيراً ما كان ديدرو يجسد الأحداث والأشخاص فى محاورات فلسفية خيالية، وذلك مثل «حلم دالمبير»، وكان أعظم القصص الخيالية رواجاً فى أواخر القرن الثامن عشر هى قصة «جولى أو هلويز الجديدة» «روسو»، عام ١٧٦١، وهناك قصة فى شكل رسائل «أو الرسائل الروائية» عن أوقات الشدة والضيق فى الحب المحبط الذى يثير العاطفة، وكذلك الحساسية فى علاقات أو «ارتباطات خطيرة» عام ١٧٨٢ بقلم بيير أمبرواز فرانسوا شودرلو دى لاكلوس (١٧٤١ - ١٨٠٣) التى تروى قصة مغويين فاجرين فى شكل رسائل خفية مليئة بالتهكم والسخرية، وهناك جوستين الجديدة عام ١٧٩٧ وهى قصة بقلم الماركيز دى ساد (١٧٤٠ - ١٨١٤) وهى نسخة منقحة وموسعة من قصته «جوستين أو سوء حظ الفضيلة» (١٧٧٩) وهى تعبير مفصل عن السادية الجنسية، وكانت تستهدف استدعاء أصدقاء عنوان روسو.



فكرة المتوحش النبيل

كان القرن الثامن عشر هو عصر السياحة العظيم، عصر التجارة البحرية والاستكشاف؛ مما شجع على شكل من أشكال «الأنثروبولوجيا المقارنة».

ففى عام ١٧٦٧ وصل المستكشف الفرنسى لويس أنطوان دى بوجنقىل (١٧٢٩ - ١٨١١) إلى تاهيتى^(١)، وفى عام ١٧٦٩ استقر كابتن كوك (١٧٢٨ - ١٧٧٩) هناك لمدة أربعة أشهر ليراقب مرور فينوس Venus «كوكب الزهرة»^(٢) ولما كان بوجنقىل من أتباع «روسو» فقد عثر بين أهل تاهيتى على كل صفات «المتوحش النبيل». أما كابتن كوك فقد كان مواطنا

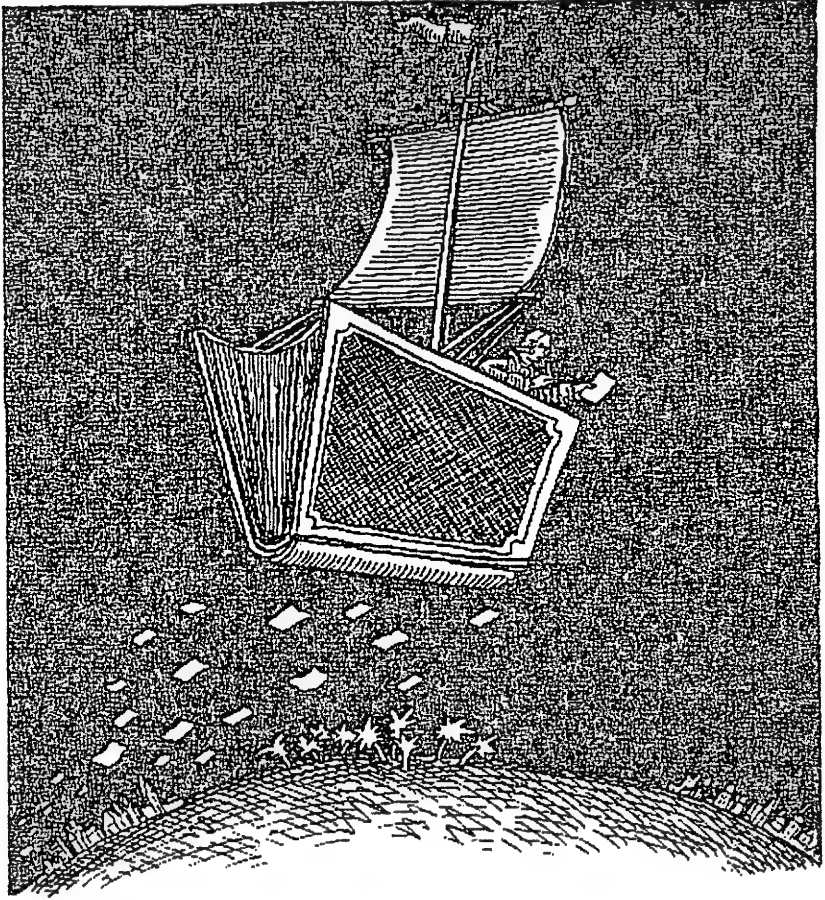


استخدم «ديدرو» فى استكمال لرحلة بوجنقىل منظور «عين البريء» لرجل تاهيتى لتسليط الضوء على غرابة العادات والتقاليد التى اعتبرت «طبيعية». وسرعان ما تساءل المثقفون اللامعون من أهل باريس ولندن عما إذا لم تكن كلمة «الحضارة» تناسب أهالى جزر البحار الجنوبية الذى لم يفسدوا، أكثر مما تناسب المجتمع الفاسد على نحو لا مثيل له فى أوروبا فى القرن الثامن عشر.

(١) لويس أنطوان دى بوجنقىل (١٧٢٩ - ١٨١١) : ملاح ومستكشف فرنسى، قاد أول بعثة فرنسية أبهرت حول العالم (١٧٦٦ - ١٧٦٩) اكتشف عام ١٧٦٨ جزر بوجنقىل كبرى جزر سليمان فكرم بإطلاق اسمه عليها. (المترجم)

(٢) جيمس كوك J. Cook (١٧٢٨ - ١٧٧٩) : ملاح ومستكشف بريطانى يعتبر أحد الملاحين فى التاريخ، قاد ثلاث بعثات علمية إلى نصف الكرة الجنوبية ووصل إلى اكتشافات مهمة فى أستراليا والمحيط الهادى، قُتل فى هاواى، يُعرف باسم الكابتن كوك Captain Cook. (المترجم)

فكرة «المتوحش النبيل» أو (المواطن البسيط) تضرب بجذورها في أدب القرن الثامن عشر، فيكاد يكون من الصعب على المؤلف سواء أكان جادا أم هازلا أن يفشل في وصف «توحشه» لقرائه. لقد بدأ «مونتسكيو» بأمره الفارسي كما سوف نرى، أما فولتير فقد جعل هذا النمط خالدا في قصة «كانديد»، كما حلله «بوفون» في يقظة آدم، وخلق «روسو» دوره الخاص بتمثيل المتوحش في اعتزاله المتفرد.



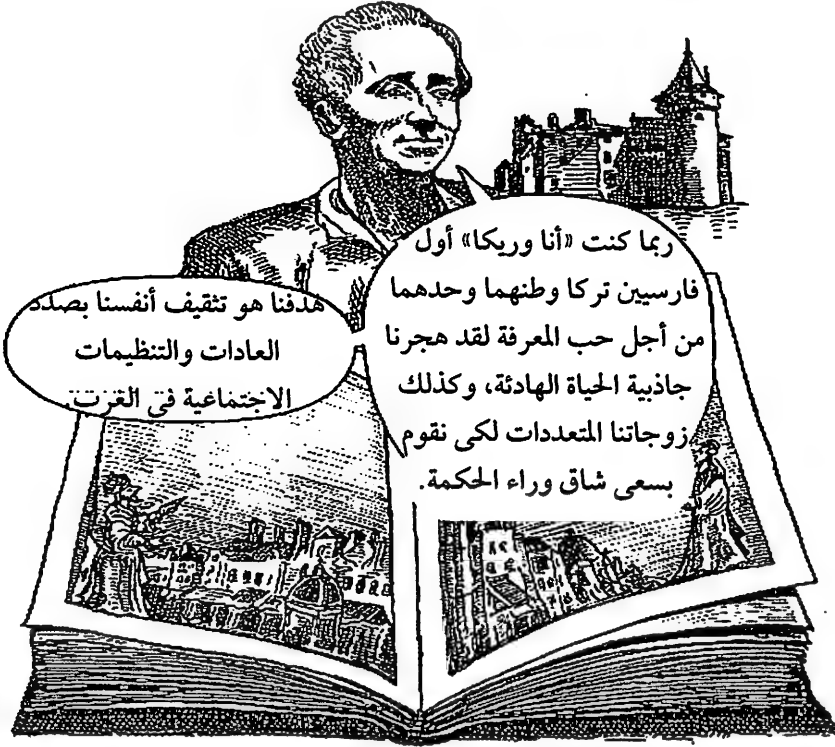
وبحلول عام ١٧٧٠، لم يكن هناك تلميذ في الفلسفة إلا ويسعى لمراجعة قوانين وعادات بلاده في ضوء نصائح أهل الصين أو أهل «إروكوا»^(١) كما أن ابن الأسر الكريمة ربما يسافر مع كاهنه. دعنا نرى كيف سار مونتسكيو مع هذه الفكرة.

(١) Iroquois : قبائل من الهنود تشمل خمس أمم مرتبطة فيدراليا. (المترجم)

الرسائل الفارسية... (١)

ولد مونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥) أو البارون شارل لويس دي سكوندا، بارون دي لا بريد، ومونتسكيو - إذا شئنا أن نذكر اسمه كاملا - ولد من أصل نبيل (٢)، وورث مركزا رفيعا كرئيس للمحكمة العليا في مقاطعة بوردو، وفي عام ١٧٢١ نشر (غُفلا في هولنده) ما سوف يصبح واحدا من أكثر الأعمال المعارضة للمؤسسة الحاكمة تأثيرا في القرن الثامن عشر وهو كتاب «الرسائل الفارسية».

والكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل كتبها اثنان من الفرس هما «أوزبك» Us-bek و«ريكا» Ricca في أثناء إقامتهما في باريس، وأسفارهما في أوروبا، إلى أصدقاء في وطنهما وقد شرع الفارسيان في «رحلتها العظيمة».



(١) ترجمها إلى العربية أحمد كمال يونس، وراجعها عبد الحميد الدواخلي ونشرتها دار سعاد الصباح ط ٢ عام ١٩٩٢. (المترجم)

(٢) كان مونتسكيو ينتسب إلى ما يسمى «نبلاء السلاح، ونبلاء الرءاء» فقد كان أبوه كبير القضاة وأمه صاحبة قصر «لا بريد» وأرضها، وهو القصر الذي ولد فيه مونتسكيو. (المترجم)

وفى عام ١٧٥٤ قدّم مونتسكيو «بعض التأمّلات حول الرسائل الفارسية» شرح فيها «... أنه فى الروايات المألوفة لا يُسمح بالاستطراد إلا إذا شكّل هو نفسه قصة جديدة، غير أن استخدام شكل الرسائل التى لا يناقش فيها اختيار الشخصيات ولا المقطوعات، لابد له من أن يتناسب النوايا والمقاصد أو الخطط المتصورة مقدما، يكون للمؤلف ميزة استطاعته إدخال: الفلسفة والسياسة، والخطاب الأخلاقى داخل القصة، وإمكان ربط كل شيء معا بسلسلة سرية تظل خفية، أو غير مرئية إن صحّ التعبير».



لا شيء يسر الجمهور ويسعده، فى الرسائل الفارسية، أكثر من عثوره على نوع غير متوقع من القصة.

كانت المقاهى مشهورة جدا فى باريس وهى موزعة فى عدد كبير من البيوت المفتوحة أمام الجمهور، ويقوم الناس فى بعض منها بإطلاع بعضهم البعض على الأخبار، ويلعبون الشطرنج فى بعضها الآخر.



الكثير من الرسائل يصف الناس والمؤسسات في باريس، لقد بدت بعض العادات المقبولة غريبة جدا في أعين الزوار الفرس، أصحاب الذهن الساذج، لكه مفتوح، ولقد حاولا على الدوام التمييز بين ما هو محلي وخاص بالعرف، وما هو عام وكلّي أو «طبيعي». ففي الرسالة رقم ٣٠ على سبيل المثال يكتب ريكا إلى إيبين Ibben عن رد فعل الباريسيين على الملابس والحلة بوصفها علامات على الأعراف الاجتماعية «عندما وصلت إلى باريس كانت الأنظار تتطلع إليّ كما لو كنت هبطت من السماء: فالشيوخ والشباب والنساء والأطفال كلهم يحبون



أن يروني.. وخلاصة القول: إن الأنظار لم تتجه إليّ أحد كما اتجهت إليّ».

وقد حملني ذلك على أن أخلع الثياب الفارسية وأرتدى الأوروبية لأرى هل يبقى في سحتي شيء غريب، وهذه التجربة عرفني قيمتي الحقيقية، إذ أنني لما تخلصت من كل حلية أجنبية، قدرت تقديرًا أدق، وكان من حقي أن أشكو من الحياط الذي أفقدني انتباه الجمهور وتقديره في لحظة واحدة وحرمتني حلتى اعتباري، واهتمام الناس بي وكأنني لم



أكن شيئاً
مذكوراً^(١).

(١) «.. ففصرت أحيانا أقصى ساعة في جماعة دون أن يلتفت إلى أحد أو يتيح لي فرصة أن أفتح فمي لكن إذا حدث عرضاً أن يخبر أحد الجمع بأنني فارسي سمعت حولي على الفور لفظاً فيقول قائل: وى ! هل السيد فارسي؟ هذا أمر غريب، كيف يمكن أن يكون الإنسان فارسياً!». راجع الترجمة العربية سالفة الذكر ص ٧٠ - ٧١. (المترجم)

لقد استطاع مونتسكيو أن يسخر من أعمدة المؤسسات القائمة مثل المراتب التصاعدية لوظائف الكنيسة.

«البابا رأس المسيحيين، وهو معبودهم القديم الذى اعتادوا تمجيده، وقديما كان الملوك أنفسهم يرهبونه؛ لأنه يخلعهم فى يسر كما يفعل سلاطينا العظام مع ملوك أرمينيا وجورجيا، والآن لم يعد أحد يخشاه.. والأساقفة إذا اجتمعوا معا، يعدّون نصوص العقيدة، وإذا انفردوا لم يكن لهم عمل قط إلا الإعفاء من فتاواهم من ميثاق القانون المسيحى». (الرسالة التاسعة والعشرون من ريكا إلى إيبين فى أزمير)



«لقد سمعت أنه فى إسبانيا والبرتغال هناك بعض الدراويش (الزهاد) لا يعرفون المزاح يحرقون الإنسان كما يحرق الهشيم...» (١).

وعندما أبدت السلطات الكنسية غضبها واستياءها كان مونتسكيو يقول إن الفرس هنا يكشفون عن جهلهم!

(١) يشير مترجم «الرسائل الفارسية» إلى أن المؤلف يقصد رجال محاكم التفتيش. راجع الترجمة العربية ص ٧٨، وإن كان ذلك يتعارض مع حديثه عن المسبحة فى الأسطر التالية. (المترجم)

«ومن جهة أخرى فإن هذا الملك ساحر عظيم، إذ يؤثر بسلطانه أيضاً على تفكير رعيته فيجعلهم يفكرون كما يريد، فإذا لم يكن في خزانته سوى مليون جنيه، وهو

في حاجة إلى مليونين، فما عليه إلا أن يقنعهم بأن جنيهها يساوي جنيهين فيصدقوه».
(الرسالة الرابعة والعشرون من ريكا إلى إيبين في أزمير).



«وإذا ما اشتبك في حرب شديدة الوطأة وهو مفلس، فلا يكلفه إلا أن يدخل في روعهم أن قطعة الورق مال فيسلمون له بذلك في الحال»^(١).



(١) «.. بلغ الأمر إلى أن جعلهم يعتقدون أنه يشفيهم من شتى الآلام إذا لمسهم، فما أعظم قوته وسلطانه!» الرسائل الفارسية ترجمة أحمد كمال يونس ص ٥٤ - الناشر مكتبة سعاد الصباح - الطبعة الثانية عام ١٩٩٢. (المترجم)

وما يشير القارئُ بصفة خاصة هو المجموعة الغريبة المأجنة من أحداث القصة التي تنكشف تدريجياً لسلوك الحريم غير المنضبط الذي تركه السائح الفارسي وراءه، وفي رسالة مبكرة من أوزبك إلى كبير الخصيان يرثى، وإحدى زوجات أوزبك تتحسر على غيابه^(١).



أنا أذكر تلك الأوقات السعيدة التي اعتدت أن تأتي فيها إلى أحضاني، ما أنعس امرأة لها مثل هذه الرغبات العنيفة عندما تحرم من الرجل الوحيد الذي كان يمكن أن يشبعها... عندما تترك لنفسها لا بد من أن تقضى وقتها في رغبة مجنونة غير مشبعة.

(١) الرسالة الأولى هي رسالة إلى كبير الخصيان وهي رقم ٢، ثم رسالة فاطمة زوجة أوزبك وهي الرسالة السابعة. (المترجم)

والرسائل الفارسية هي أيضاً قصة شهوانية مثيرة عن الانفعالات الجنسية المحبطة، وكلما واصل الفيلسوفان الفارسيان رحلاتهما قارنا بين المحرمات الجنسية وعادات الغرب بما لديهما من عادات ومحرمات، ولسوء الطالع كلما طالت رحلات الفارسيين، زادت الاضطرابات بين الحريم الشرقي في سراء السلطان.

ولقد رأى مونتسكيو بوضوح كيف أن نظام الحريم كان ضرباً من الاستبداد، ومن ثم

فهو مسألة غير طبيعية، فهو يفسد جميع العملاء، إذ يبحث الخصيان عن تعويض عن حرمانهم الجنسي بأن يشبعوا شهوتهم إلى السلطة، فبعد أن قامت «روكسانا» بقتل نفسها في باريس بأن شربت السم - وهي الزوجة الأثيرة المفضلة عند أوزبك - كتبت تقول في رسالتها الأخيرة أنها قد خدعت في زوجها الطاغية.





لقد بيعت قصة مونتسكيو كما تباع الحلوى، فطبع منها عشر طبعات في عام واحد، وحظي مونتسكيو الذي كان قد تزوج عام ١٧١٧ بنجاح اجتماعي وغرامى ملحوظ.



في عام ١٧٢٦ باع منصبه البرلماني، وقرر أن يكرس نفسه لكتابة أكثر جدية، وفي عام ١٧٤٨ بعد صراع مع العمى والصعاب المالية نشر كتابا من أعظم المؤلفات السياسية تأثيرا في القرن الثامن عشر هو «روح القوانين» ثم كان له أثر أكبر فيما بعد.

فولتير يفر إلى إنجلترا

فرانسوا ماري آرويه (١٦٩٤ - ١٧٧٨) الذي كان يحمل بعد ذلك اسم فولتير الذي ولد كأحد عامة الناس في باريس وتلقى تعليمه على يد الجزويت، وتمتع بنجاح أدبي في فترة مبكرة من حياته نظراً لكتابة تصوره لمأساة «أوديب» وملحمة «الهنرياد» التي تروى أساطير هنري الرابع ملك فرنسا المتسامح، ولقد منح فولتير لذلك معاشاً من الملك لويس الخامس عشر، ومن الملكة، ومن دوق أورليانز، إلا أن فولتير اشتهر كذلك بقصائده الهجائية المقذعة من كل لون، ففضى بسبب ذلك ما يقرب من عام في الباستيل

في ١٧١٧ ، ولقد كان
فولتير من الجراءة بحيث
يتحدى أحد
الأرستقراطيين - وهو
الفارس دي روهان - Ro-
ham - لمنازلته.

ولما كان الفارس يشعر أن مثل
هذا اللقاء أدنى من مستواه،
فقد أرسل الفارس خدمه
ليضربوني، ويبدو أن توسلاتي
لللقاء عادل لم تلق سوى آذان
صماء، وقام الأصدقاء
الأرستقراطيون للفارس بضم
الصفوف



ولقد أقنع ذلك فولتير بضرورة الهرب من البلاد، فهبط إلى إنجلترا ٤ مايو عام ١٧٢٦ ليبدأ فترة ستين ونصف من النفي الاختياري.

رسائل عن إنجلترا

لقد كانت الرسائل الفارسية تقدم فقط هجوما غير مباشر، وتلقى الضوء على مؤسسات وأعراف المجتمع الفرنسي، وعاملها الكثير من قرائها الأرستقراطيين على أنها سلسلة من المزاح، وكان مونتسكيو - قبل أى شىء آخر - «واحدا من هؤلاء»، أما فولتير فقد كان على العكس فردا من عامة الشعب كتب ملاحظاته الخاصة كرحالة فى المنفى، ولقد نشر كتابه «رسائل عن الأمة الإنجليزية» عام ١٧٣٣، وظهر فى فرنسا تحت عنوان «الرسائل الفلسفية» فى السنة التالية.

لقد استخدمت النموذج الإنجليزي للهجوم على النظام الفرنسى: الفشل وسوء الاستخدام الفرنسى، ولقد أذهلنى مدى التسامح الدينى، بصفة خاصة فى إنجلترا وليبرالية السياسة فى التجارة الإنجليزية وقوة العلم والفلسفة فى إنجلترا.



وصفت رسائل فولتير بأنها أول قنبلة تلقى على النظام القديم، وظهرت طبعات خفية فى فرنسا، وصدر الأمر باعتقال «فولتير»، وأحرق الكتاب رسميا، وحرم بيعه تجاريا مطلقا.

نظرة فولتير إلى الدين في إنجلترا

يبدأ كتاب فولتير عن الإنجليز بأربع رسائل عن «الكويكرز»^(١) وقد جذبهم إليهم بساطتهم وبعدهم عن الدجماطيقية، وتجسيدهم العملي للقيم الروحية والأخلاقية، وعلى الرغم من أن فولتير سخر منهم سخریات رقيقة، فمن الواضح أنه تأثر بعمق بواقعة أن إيمان الكويكرز لم يحدده القساوسة.

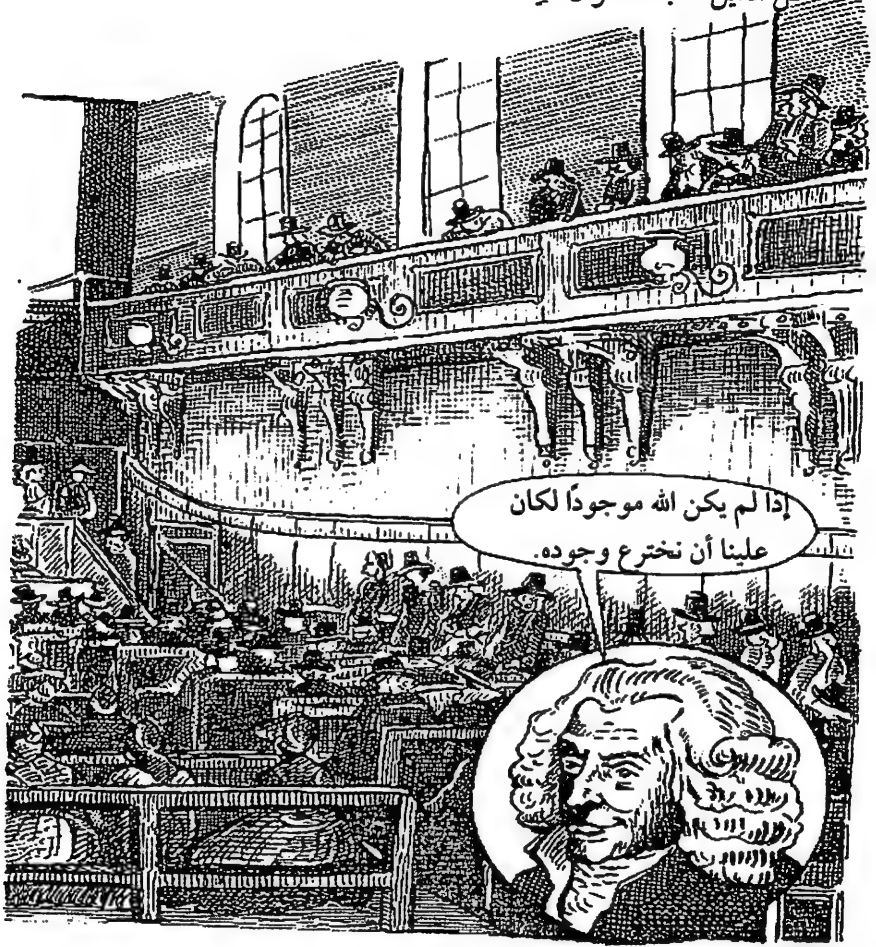
على ذلك ليس
لديكم قساوسة؟

كلا يا صديقي، ونحن جميعاً
أهل لها. فقد حرّم علينا الله أن
نلقى أوامر لأى إنسان، أن نلقى
الروح القدس يوم الأحد، وأن
نستبعد الآخرين من الإيمان.



(١) أو جماعة الأصحاب: فرقة بروتستانتية أسسها في إنجلترا حوالى عام ١٦٥٢ جورج فوكس Fox احتجاجاً على تسلط الدولة على الكنيسة، يعرفون أيضاً بالمرتعشين أو المرتجفين من عبارة فوكس «ارتجفوا لكلمة الله»، أو ربما بسبب اهتزازهم من نشوة الانفعال الصوفى فى أثناء العبادة. (المترجم)

لقد خصص فولتير رسالة لكل من: الأنجليكان^(١)، والمشيخية^(٢)، وفرق دينية أخرى صغيرة، ولقد ظل فولتير طوال حياته معارضا لا يكل ولا يمل لتعصب الكنيسة الكاثوليكية، لكن ذلك لا يعنى أنه كان هو نفسه لا يكثرث بالدين، بل على العكس لقد ظل الدين هاجسه طوال حياته.



- (١) الكنيسة الأنجليكانية Anglican : كنيسة إنجلترا الرسمية يرأسها كبير أساقفة كانتربري، انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية عندما سحب الملك هنري الثامن اعترافه بسلطة البابا وأعلن نفسه رئيساً أعلى لكنيسة إنجلترا عام ١٥٣٤ . (المترجم)
- (٢) الكنيسة المشيخية Presby Terians : كنيسة بروتستانتية يدير شؤونها شيوخ منتخبون كلهم بمنزلة متساوية، وكان كالفن Calvin أول من دعا إلى الأخذ بهذا الأسلوب في إدارة الكنيسة. (المترجم)

حرية الضمير والروح التجارية

كانت إقامة فولتير في إنجلترا تنقطعها فترات قصيرة يعود فيها إلى فرنسا لرعاية مصالحه التجارية؛ لقد كان فولتير باستمرار رجل أعمال ثاقب النظر، كما كان مضارباً في سوق الأوراق المالية، ومن هنا كان في استطاعته أن يجمع القدر الكافي من المال من مغامراته التجارية، لتأمين استقلاله العقلي، ولتمويل أسلوب حياة رفيعة متأنقة، «التجارة التي أثرت المواطنين الإنجليز، قد ساعدت في جعلهم أحراراً، وساهمت في خلق عظمة الأمة».

أذهب إلى سوق الأوراق المالية في لندن وهو مكان أشرف من أماكن كثيرة في البلاط الملكي، وسوف تجد ممثلين من جميع الأمم يجتمعون لتنمية الرخاء البشري، فهنا: اليهودي، والمسيحي والمسلم، يتعامل الواحد منهم مع الآخر، كما لو كانوا من ديانة واحدة، والأشخاص الوحيدون الذين يعتبرونهم ملاحدة هم المفلسون...!



عن البرلمان

«الأمة الإنجليزية هي الأمة الوحيدة على ظهر الأرض التي نجحت في السيطرة على سلطة الملوك عن طريق مقاومتهم بجهد وراء جهد حتى أقامت في النهاية هذا النظام الرفيع من الحكومة، الذي يكون فيه الأمير، رغم أن لديه كل السلطة لفعل الخير والصالح العام، فإن يديه مغلولتان عن فعل الشر، وهو نظام أصبحت فيه الطبقة الأرستقراطية عظيمة بلا عجرفة وبلا تابع للسيد الإقطاعي، وفيه يشارك الشعب الحكومة دونما خلط أو اضطراب».

ويسخر فولتير من التصرفات المثيرة للضحك في مجلس العموم، ومن أوجه القصور الأخرى في الممارسات في السياسة الإنجليزية، لكنه كذلك يعلن بوضوح إعجابه بالنظام السياسي الإنجليزي وما فيه من ملكية دستورية مقيدة.



وتطورت إنجلترا بالتدريج نحو المساواة أمام القانون، ونظام الضرائب الذى لا يُعفى منه إنسان، (وبعد بضعة عقود كان إعفاء الطبقة الأرستقراطية، وطبقة رجال الدين من الضرائب فضيحة أشعلت نيران الثورة الفرنسية).



لا يُعفى إنسان قط هنا من دفع ضرائب معينة لأنه - ببساطة - أرستقراطى أو من رجال الدين .. فأنت لن تسمع هنا عن عدالة عليا ومتوسطة وسفلى.
لقد بدأ مستر شبنج منذ فترة ليست بالبعيدة فى الحديث عن مجلس العموم بهذه الكلمات: «ملك الشعب الإنجليزى لابد من أن يصاب.. إلخ»، ولقد أحدث هذا التعبير الغريب عاصفة من الضحك لكنها لم تكن مريكة على الإطلاق، فكرر الكلمة نفسها فى نبرة حاسمة، ولم يعد ثمة أى ضحك.

القديسون الرعاة فى عصر التنوير

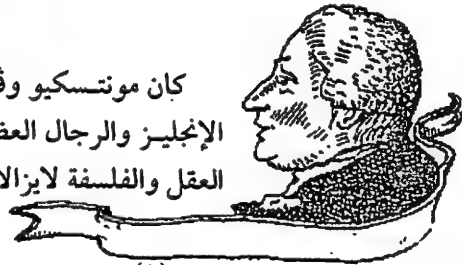
كان القديسون الرعاة فى عصر التنوير فى إنجلترا ثلاثة من الإنجليز هم: بيكون، ونيوتن، ولوك، ولقد خصص فولتير معظم رسائله الفنية الجادة لهؤلاء الثلاثة. كما أن ديدرو، ودالمير قاما بإهداء الموسوعة إليه.



أمر توماس جيفرسون (١٧٤٣ - ١٨٢٦) فى عام ١٧٨٩ أن يوضع فى مكتبته صور لهؤلاء الثلاثة. لقد وضعوا الأساس فى علوم الفيزياء والأخلاق لعصر الحداثة، هؤلاء الرجال أعظم ثلاثة عاشوا بلا منازع.



كان مونتسكيو وفولتير من تلاميذ وأتباع الفلاسفة الإنجليز والرجال العظام فى إنجلترا، بدون الإنجليز كان العقل والفلسفة لا يزالان فى طفولتهما الكريهة.



فردرش ملكيور فون جريم (١).

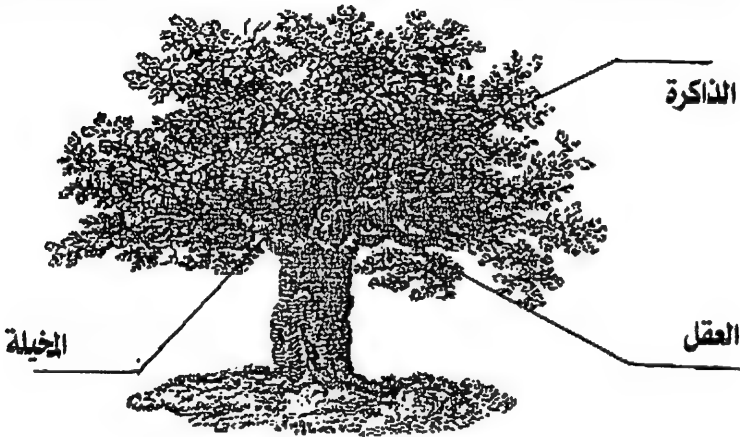
(١) فردرش فون جريم (١٧٢٣ - ١٨٠٧): مفكر ألماني وناقد أدبي رحل فى عام ١٧٤٨ إلى باريس معلماً خصوصياً فى خدمة دوق أورليانز (١٧٥٥) حيث تطورت علاقاته بديدرو - ومدام «بيناي»، وروسو. (المترجم)

أبو الفلسفة التجريبية

كان فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) هو السلف العظيم لجون.لوك فى التراث التجريبي، وهو فيلسوف وسياسى إنجليزى، اعترف به على نطاق واسع على أنه «أبو الفلسفة التجريبية».



دافعت عن إصلاح عظيم فى المعرفة يقوم على الملاحظة المباشرة، رفضا للعبادة العمياء للسلطة، لصالح عالم التجربة الحسية المباشرة.
كان بيكون يشبه أقسام المعرفة بأفرع الشجرة، والأفرع الرئيسية فى شجرة المعرفة هذه مستمدة من الملكات الرئيسة فى الذهن: الذاكرة، والمخيلة، والعقل.
الذاكرة: مصدر المعرفة التاريخية. المخيلة: مصدر الشعر. العقل: مصدر الفلسفة.



السياسة عند جون لوك

امتد تأثير لوك بحيث جاوز الفلسفة، فكتاباتة فى السياسة ألهمت أيضاً المصلحين فى عصر التنوير من أمثال: ديدرو، وجيفرسون، وآخرين. عاد جون لوك من منفاه فى هولندا بمخطوطة كتابه «رسالتان فى الحكومة»، وكتاب: «مقال عن الفهم البشرى» وقد نشرهما معا عام ١٦٩٠.



رضا الشعب وموافقته هما الأساس الوحيد لسلطة الحكومة، وليس للحكومات واجب آخر يجاوز ذلك الواجب الذى من أجله أقيمت فى البداية وهو: المحافظة على الحياة، والحرية، والملكية.

ويذهب لوك إلى أن الأمير (أو «أى شخص وارث فرد») عندما يستخدم سلطته بطريقة تعسفية، بدون موافقة الشعب، عندئذ يكون من حق الشعب الدفاع عن نفسه.. ويكون فى ذلك تبرير للتمرد^(١) لمواجهة الاستخدام التعسفى أو الاستبدادى لسلطة الحاكم.

(١) التبرير يأخذه جون لوك من كلمة التمرد نفسها التى تعنى بالإنجليزية Rebellion وهى تعنى الحرب من جديد، فهى مأخوذة من اللاتينية Bellum بمعنى الحرب والمقطع.. Re من جديد، فكان الحاكم يعلن الحرب على الناس فيردون عليه بالتمرد أو بالحرب من جديد. (المترجم)

إسحاق نيوتن

الإجازات العلمية التي قام بها إسحاق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) كانت هائلة، كان الحساب - حساب التفاضل والتكامل - وسيلة رياضية قوية طورها نيوتن كما طورها جوتفريد فلهلم فون لينتزر (١٦٤٦ - ١٧١٦) ولقد عرف علم الديناميكا الجديد في تحفته الكبرى أو كتابه الرئيسي «الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية»، الذي صدر عام ١٦٨٧ موفقاً بين دراسة كبلر لحركة الكواكب ودراسة جاليليو للحركة الأرضية. لقد قدمت أوصافاً رياضية محكمة لنظام الكون ولحركة الكواكب، واقترحت قانوناً

كلياً عاماً للجاذبية، كما ذهبتُ إلى أن الفضاء الذي تسبح فيه الكواكب لا متناه.

وفي عام ١٧٠٤ صدر الكتاب العظيم الثاني لنيوتن وهو كتاب: «البصريات» الذي عرض فيه لنتائجه عن طبيعة الضوء، وينتهي بمجموعة من التخمينات والحدوس والاستفسارات ألهمت البحث العلمي طوال القرن الثامن عشر.



نيوتن للمبتدئين

لقد جذبت أعمال نيوتن جيشًا من المروّجين والمبسطين للمعلومات، منهم قولتير ليس في الرسائل عام ١٧٣٣ فقط، بل أيضًا في كتابه «أصول فيزياء نيوتن» الذي ظهر عام ١٧٣٨.



ولقد قامت صديقتي المركيزة
إميلي دي شاتيليه بترجمة
نيوتن إلى الفرنسية.

وكثير من هذه الروايات الشعبية تصور الكون يعمل بطريقة
آلية أكثر مما كان نيوتن نفسه يحب أن يصوره، وذهبوا إلى أن نيوتن
يصور الكون المخلوق كله على أنه نسق مرتب ينظم نفسه.

من الواضح أن جمال الصيغة الرياضية عند نيوتن، وقوانين الحركة - وما إلى ذلك -
في أنها تقدم نظرة أشد بساطة للكون مما أراد نيوتن في الحقيقة.
والواقع أن الجاذبية نفسها كانت قوة غامضة.
أما الإنتروبيا Entropy فقد عرفها نيوتن بأنها خاصية الأنظمة المغلقة.
(الإنثروبيا هي ميل النسق المغلق إلى النقصان، حتى يفقد كل طاقة، ومن ثم كل
عضوية).

ولقد شعر نيوتن نفسه بأنه قد أظهر ضرورة وجود السبب الأول، حتى أصبح شيئاً

فشيئاً متورطاً في «الخيمياء» (الكيمياء
القديمة) وغيرها من البحوث التي نعتبرها
اليوم «صدفية» غامضة.

كنت أشبه بالطفل الذي يلهو على
شاطئ البحر، أسلي نفسي من وقت إلى
آخر بأن أعثر على حصة أشد نعومة، أو
صدفة لطيفة أكثر من المألوف، في حين أن
محيط الحقيقة العظيم أمامي لم يكتشف
بعد.



نيوتن: النموذج

كانت إنجازات نيوتن على درجة كبيرة من التقدم حتى إنها دفعت علم الفيزياء والعلوم الطبيعية خطوات إلى الأمام، لدرجة أن الكتاب في معظم حقول المعرفة الأخرى حاولوا تعميم هذا المثال واتخذوا من نيوتن نموذجاً، فكان مثلاً للعالم الحق. وبعد وفاة نيوتن بفترة قصيرة قام جى. تى. ديزجيلرز^(١) بالترويج لآراء نيوتن في دائرة واسعة، وتنبأ بأوسع تطبيق ممكن لآراء نيوتن على القصيدة وكتب «نسق نيوتن

للعالم: أفضل حكومة ممكنة» وكان قولته يأمل أن يأتي يوم تنقل فيه مناهج العلوم الطبيعية لتطبق في مجال التاريخ.



إن ما حدث في علم الفيزياء، ربما يطبق قريباً في كتابة التاريخ، إننا نريد أن نعرف البشرية في تفصيلاتها المثيرة التي تشكل اليوم أساس الفلسفة الطبيعية.

(١) ديزجيلرز (جون تيوفليس ١٦٨٣ - ١٧٤٤): مخترع إنجليزية ومحاضر شعبي في الميكانيكا والبصريات. (الترجم)

فلاسفة التنوير

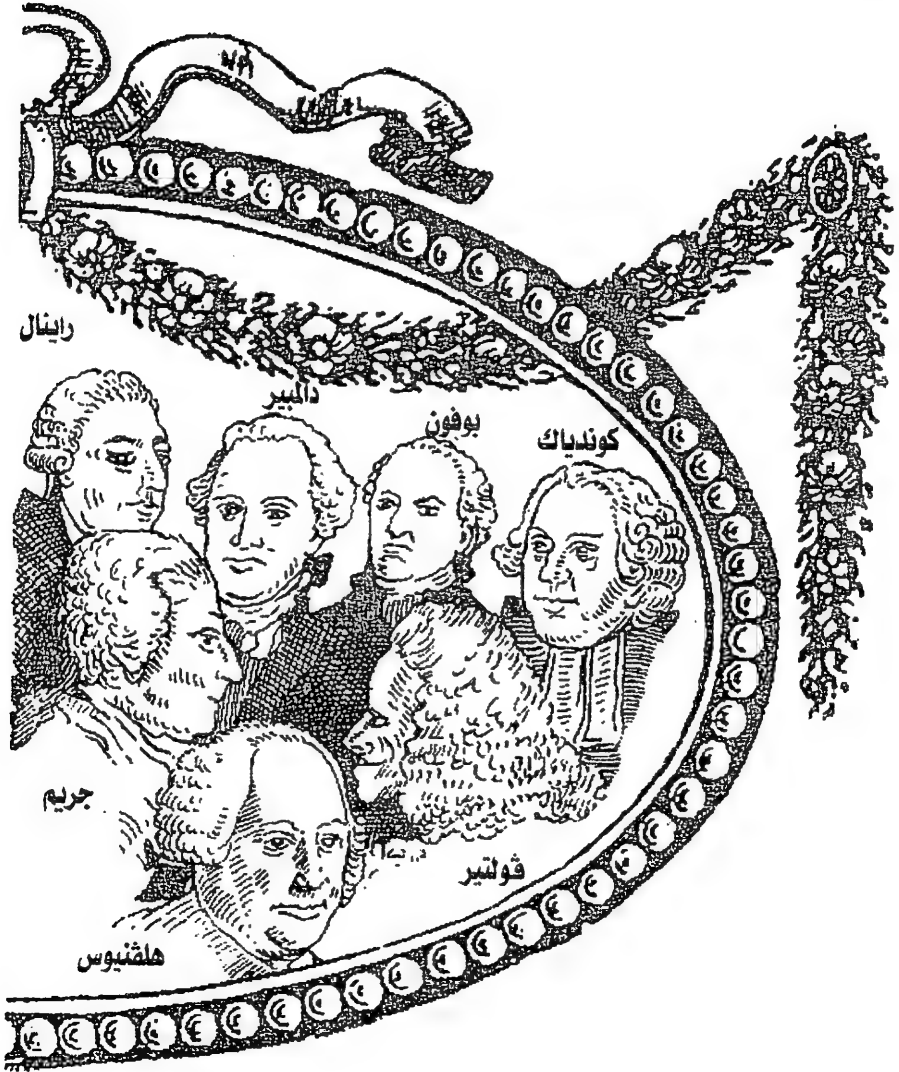
مونتسكيو، وفولتير، وديدرو، وروسو، وبوفون^(١) وكوندياك، وتورجو^(٢)، وكوندورسيه، وهولباخ، ومورليه^(٣)، وهلقتيوس، وجريم، ورينال^(٤).
بدأ الرجال الذين يشكلون «مملكة الأدب» واضعين مثال مونتسكيو وفولتير أمامهم،
بدأوا في إظهار ثقة جديدة بالنفس مع الاستعداد للقتال.

فقر ليس بمقاهيها ونواديها، وصحفها ومن فيها من باعة الكتب، انبثق نسل جديد
هو الفلاسفة.



- (١) بوفون Buffon (الكونت جورج لويس ١٧٠٧ - ١٧٨٨): كاتب وعالم طبيعة فرنسي، أشهر أعماله «التاريخ الطبيعي العام والخاص» وهو يقع في ستة وثلاثين مجلداً (١٧٤٩ - ١٧٨٩)، له نظرات في الأساليب الأدبية، ذهب فيها إلى أن الأسلوب مرآة عقل المرء. (المترجم)
- (٢) تورجو (آن رويسر چاك: ١٧٢٧ - ١٧٨١): سياسي وعالم اقتصاد فرنسي ووزير المالية (١٧٧٤ - ١٧٧٦) في عهد لويس السادس عشر، يعتبر أحد أبرز زعماء المدرسة الفريزقراطية التي دعت إلى إلغاء القيود المفروضة على الاقتصاد. (المترجم)
- (٣) مورليه (أندريه ١٧٢٧ - ١٨١٩): عالم اقتصاد وأديب وفيلسوف فرنسي كان رائداً في حلقة الفلاسفة، وقد اشترك مع ديدرو في إصدار الموسوعة. (المترجم)
- (٤) رينال Raunal (جيوم توماس - فرانسوا ١٧١٣ - ١٧٩٦): مؤرخ وفيلسوف فرنسي، وكان يعد رائداً بين المفكرين الأحرار في فرنسا، كتب تاريخ البرلمان الإنجليزي، وتاريخ الأرض الواطنة. (المترجم)

كان فلاسفة التنوير من المثقفين، والأدباء لكنهم لم يكونوا من الفلاسفة المحترفين، وبالقطع لم يكونوا من الأكاديميين الذين يقبعون فى البرج العاجى، ولقد أحدث جو المناقشات والمنازعات والأفكار، والنضال والصراع .. فى باريس أفرز نخبة عصر التنوير أو الصفوة من المفكرين ، فيها هنا كان الجناح المكافح فى عصر التنوير يتركز على: التفكير، والكتابة، والمناظرة، والمنازلة بين بعضهم البعض، وبين العالم.



كان فلاسفة التنوير كهنة وجنود ورجال الدعاية لروح العقل الجديد، والتسامح والتقدم، أصدر فولتير صيحة نداء تحثهم على الاتحاد.



إلا أن العقل العبقري المنظم حقا للحركة كان دينس ديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤) ابن صانع سكاكين من الريف، الذي جمع أكثر العقول تطرفاً في عصره لخلق أعظم إنتاج تميز به عصر التنوير وهو: «الموسوعة».



وردّ أعداء هذا التطرف الجديد بغضب وارتياب: «نرجو فقط أن تقولوا لنا ماذا يعنى فيلسوف التنوير؟» هكذا تساءل الأب مولينيه.

ضرب من الحيوان المتوحش فى المجتمع الذى لا يشعر بأى التزام نحو عاداته وأخلاقياته، وخصائصه وسياسته، أو دينه، ويمكن للمرء أن يتوقع أى شىء من أناس على هذه الشاكيلة.



الموسوعة تشرح ماذا يعنى فيلسوف التنوير.



هو الشخص الذى يسحق الأحكام المبتسرة، والتراث، والموافقة الجماعية، والسلطة باختصار ما يستعبد العقول، وهو الذى يجروء على أن يفكر لنفسه، وأن يعود إلى الخلق ويبحث عن أكثر المبادئ العامة وضوحاً، ولا يسمح بشىء ما عدا شهادة عقله وتجاربه.

المرأة المستنيرة

فلاسفة عصر التنوير كانوا إخوة، مجموعة متألفة من الرجال، فقد كانت السيدات مستبعدات من النوادي ومقاهي البيوت الإنجليزية تقريبا (رغم أن الغوانى لم يكن بعيدات تماما)، أما في فرنسا فقد كانت أماكن اللقاءات الرئيسية هي الصالونات.



لقد كان مؤسسة تعمل للرعاية، بقدر ما تعمل للعواطف الجنسية، في عصر كانت فيه الانفعالات العقلية والجنسية منفصلتين في المجال المنزلي الخاص بالفرد.

كانت الحياة العقلية والاجتماعية في فرنسا أقل كثيراً من أن تكون شأناً من شئون الذكور، إلا أن التفكير كان لا يزال إلى حد كبير وظيفة الغلمان، لقد أشاد ديدرو بدور النساء كمحاورات (أو مستمعات جيدات) في تشكيل العادات العقلية لهذا العصر.



كانت الصالونات تعقد في بيوت فلاسفة التنوير من أمثال البارون هولباخ، وهلقتيوس، أما جميع صالونات باريس الأخرى فقد كانت تديرها نساء من أمثال: مدام دي فند، ومام جيوفرين، ومام دي إسبيناس ومام نيكر، وكان الأمر يتطلب قدرا كبيرا من المهارة والكياسة لإدارة الصالون بنجاح، وتحظى باحترام المثقفين والمؤلفين من أصحاب الأمزجة المتقلبة، ولقد تجمع جيش الموسوعة الصغير لأول مرة في صالون مدام جيوفرين.



سيدات مستنيرات

لم يكن يكفي أن تلعب المرأة دور المضيفة صاحبة الدعوة في أحد الصالونات، فليست هذه هي الطريقة الوحيدة التي تشارك بها في نشاط وإيجابية في الاختمار والقلق العقلي في ذلك الوقت، فقد كان هناك بين السيدات المفكرات الرائدات نساء متميزات.

مدام دي إيناي (١٧٢٦ - ١٧٨٣): كانت ضئيلة الحجم، حيوية، هشة المنظر مع أعين براقية، وقد سحرت فولتير وديدرو، وظلت لسنوات طويلة عشيقته فردرش ليكوير جريم (١٧٢٣ - ١٨٠٧)، كما فتنت روسو أيضاً، رغم أنها كانت على وعي تام بحساسيتها المرفقة وسرعة غضبه.



وفي عام ١٧٥٦ سمحت له أن يعتكف في كوخ منعزل كان يعرف باسم «إيرميتاج» في المقاطعة.

كانت مدام «دي إيناي» مساهمة غزيرة الإنتاج في صحيفة جريم Grimm «المراسل الأدبي» تمده بالمقالات الأدبية أو أخبار المسرح وعرض الكتب ومراجعتها، ومقالات في السياسة والاقتصاد والفلسفة، وكذلك أبيات من الشعر الخفيف، وخلال أسفار جريم كان يترك لها مع ديدرو مسؤولية الصحيفة، وفي كتابها «مذكرات مدام دي مونتييريه» جمعت معارضات أدبية ناقدة من المحادثات في حفلات العشاء التي تمثل آراء وأفكار وأحياناً الكلمات العقلية، لفلسفة التنوير.

كانت المركيزة إميلي دي شاتيليه (١٧٠٦ - ١٧٤٩) رفيقة فولتير لسنوات طويلة، وقد التقيا عام ١٧٣٣ عندما كان فولتير في التاسعة والثلاثين من عمره وهي في السابعة والعشرين، وكانت قد تزوجت لمدة ثماني سنوات وأماً لثلاثة أطفال، وكانت سيدة ناضجة مكتملة مثقفة للغاية.



لم تترجم مدام دي شاتيليه «نيوتن» فقط إلى الفرنسية، كما عملت مع فولتير، بل كتبت بطريقة مستقلة تماما مقالات موضوعات علمية.



في سن الثالثة والأربعين كان لها عشيق جديد هو الماركيز دي سانت لامبير وكان في السابعة والعشرين من عمره وقد حملت منه، وعلى الرغم من رعاية فولتير لها فقد ماتت بعد الولادة بوقت قصير، وقد حزن عليها فولتير حزنا شديدا وقال: «لقد فقدت من ظلت صديقة لى طيلة خمسة وعشرين عاما. رجل عظيم: عيبه الوحيد أنه كان امرأة!».

القارئ والرفيق

لمن كان يكتب فلاسفة التنوير؟ كانوا يكتبون - في المقام الأول - لزملائهم من الفلاسفة، في شبكة الثقافة العالمية، لكنهم أرادوا كذلك نشر أنوارهم إلى جمهور عريض متنام من القراء.

كان لقرائنا شهية هائلة لأن يتعلموا عن طريق الملخصات، فنحن في عصر «مختارات للقارئ» والمعاجم، والكتب للمبتدئين، وهناك أيضاً جهود مضيئة في الكتب غير المشروعة التي تغذي الذوق بالأدب المكشوف، والفضائح والغواية. وقبل كل شيء فهذا هو عصر الإباحية.

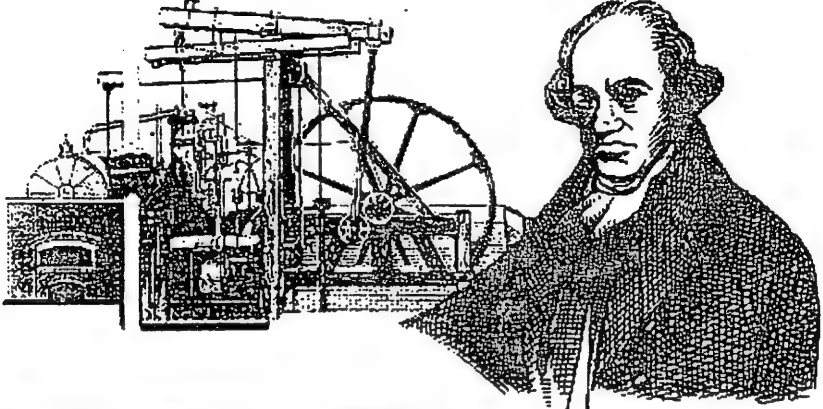
أما في فرنسا فقد استطاع الجمهور الجلاد أن يحرق الكتب المنوعة أو ينتهي بالناشرين أن يصبحوا رقيق سفينة^(١).

كانت الرقابة غائبة في إنجلترا وهولندا في حين أنها ظلت تشكل خطراً على الحياة العقلية في بقية أوروبا، وكان النشر (الذي يقوم به في العادة باعة الكتب) يتطلب تصريحاً قانونياً من وزير العدل، وسرعان ما تعلم قضاة فرنسا أن حرق الكتب يروج بيعها؛ لهذا كانوا يفضلون مصادرة الكتب وسجن باعة الكتب مع غرامات قليلة بقدر المستطاع.

(١) رفيق السفينة Galley - Slaver هم العبيد الذين حكم عليهم بالتجديف طوال حياتهم في إحدى السفن. (المترجم)

الصناعة والعلم

الإبداعات العلمية فى تكنولوجيا الصناعة كثيرا ما كان يقوم بها مهندسون ارتبطوا بعصر التنوير فى إسكتلندا من أمثال جيمس واط J. Watt (١٧٣٦ - ١٨١٩) الذى ابتكر آلة بخارية فعالة، كما ابتكر وحدة «قوة الحصان» أو «القدرة الحصانية». ولقد بدأ عصر الآلة البخارية عندما تحالفت قوة البخار مع مسابك الحديد فى حقول الفحم فى منطقة «درى شير» وهى التى وضعت بريطانيا فى مركز الثورة الصناعية.



لقد كنا «ورشة» العالم!



أدرك القراء المتعلمون أهمية التجربة العلمية - ووضع الأفكار موضوع الاختبار عن طريق التجربة، إلا أن الثقة الزائدة بالعلم أدت حتى بأعظم الحكماء إلى الظن بأن التقدم سرعان ما يؤدى إلى يقين مطلق. لقد كان القرن الثامن عشر من زوايا كثيرة سهل الانخداع بطريقة مرعبة، عصر الأشخاص الخياليين، وأشباه العلماء والدجالين من أمثال فرانز مزممر (١٧٣٤ -

١٨١٥) الذى ادعى أنه يستطيع علاج الأمراض بقوة «الجاذبية الجنسية».

الموسوعة

أعظم ما يتميز به عصر التنوير، والأثر الباقي لهذا العصر هو الموسوعة، وقد كان ذلك في الأصل بتفويض لترجمة ومراجعة «موسوعة إفرام تشامرز» التي نشرت لأول مرة في أدنبره عام ١٧٢٧.
وبعد أن أفلح الناشر الأول قام على أمر المشروع بنجاح دينس ديدرو وچان لوروند دالمبير (١٧١٧ - ١٧٨٣).



المجلد الأول من «الموسوعة أو من المعجم التحليلي للعلوم والفنون والحرف» ظهر عام ١٧٥١، ولقد استغرق الأمر عشرين سنة لإتمام الموسوعة، واشتملت في النهاية على ما يقرب من ٢٧٠٠٠ مادة مدرجة و ٢٥٠٠ صورة محفورة.

احترم اسم دالمبير كثيرا بسبب شهرته كعالم رياضيات، وإن كان ديدرو هو باستمرار الذى يعمل معظم العمل كما نجح ديدرو فى أن يجمع حوله مجموعة لامعة من المتعاونين تشمل عددا من فلاسفة التنوير من أمثال: مونتسكيو، وفولتير، وشارل دى كلوز، وروسو، وصموئيل فورمى، وهولباخ، ومورليه، وأندريه توفيل دى بوردو، وچاك دى فوكانسون.

القدر، بل حتى أكثر، ضرورات
الحياة تفعل بنا ما تشاء، فمن ذا
الذى يكون على وعى بذلك أكثر
منى؟ لهذا السبب فقد كرس
نفسى ضد ميولى، لحوالى ثلاثين
سنة للموسوعة فى حين أننى لم
أكتب سوى مسرحيتين.



ثم بعد ذلك ساعده بمهارة واقتدار مهتد جديد للقضية، وهو رجل لا يعرف للتعب معنى: «شفاليه دى جاكور» (١٧٠٤ - ١٧٩٩) الذى كتب - مثل ديدرو - مئات من المقالات، وراجع أعمال جيش من الكتاب الأجورين الذين اشتركوا فى المصنّف.

شجرة المعرفة

أعلن دالمبير في مقاله الافتتاحي في الموسوعة أنه يقدم للقراء نظرة شاملة لكل أفرع المعرفة المختلفة، وعلاقة الواحد منها بالآخر على شكل شجرة أنساب، ولقد أسسه بناء على الرسم التخطيطي الذي قدمه بيبكون، وقد تبنته «موسوعة تشامرز»^(١).



لكن لا مجال لأى شيء لا يصل إلى العقل عن طريق الحواس، وهبطت النظريات التقليدية للكنيسة إلى فرع صغير جداً من شجرة المعرفة.

(١) أو القاموس العالمى للفنون والعلوم الذى نشر فى أدنبره عام ١٧٢٣. (المترجم)

من هم عظماء التاريخ؟

اقتبس دالمبير من قاضى القضية فرنسيس بيكون على عهده، وقدّم قائمة جديدة للتاريخ ظهر فيها أن «عظماء التاريخ» لم يكونوا الملوك أو الغزاة الفاتحين، بل العلماء والفلاسفة.

وقدّم دالمبير قائمة قصيرة عن أعظم عظماء التاريخ: بيكون، وديكارت، ونيوتن، ولوك، لكنه قدّم أيضاً قائمة مختصرة للقادة من العلماء والفلاسفة تشمل: جاليليو، وهارفى، وهيجنز بسكال، وفونتينيل، وبوفون، وكوندياك، وفولتير، ومونتسكيو، وروسو.



«المقال التمهيدي زاخر بالاستعارات البطولية العنيفة: كسر الأغلال، وتمزيق النقاب، وتدمير النظريات، واقتحام الحصون ... وعلى فلاسفة التنوير القيام بدور بطولي، وسواء أكانوا مضطهدين أم محتقرين فهم يقاتلون بمفردهم، ويناضلون من أجل الأجيال المقبلة الذين سوف يعترفون لهم بالفضل الذى حرّمهم منه معاصروهم». روبرت دارنتون، الفلاسفة يعلّمون شجرة المعرفة.

أهمية الحرف أو التجارة

إحدى الطرق التي مارست الموسوعة بسببها تأثيراً عظيماً تشير إليها الكلمة الأخيرة في عنوانها وهي «الحرف Métiers»، لقد شرعت الموسوعة في إنصاف ليس الفنون والعلوم فقط، بل أيضاً الحرف ومهارات التجار والصناع.

لقد كان دريدو نفسه - وهو ابن صانع السكاكين - مسئولاً مسئولية كبيرة عن مكونات هذا المشروع، لقد سافر وعبر فرنسا ليلتقى بالصناع والحرفيين وليتعلم طرقهم.

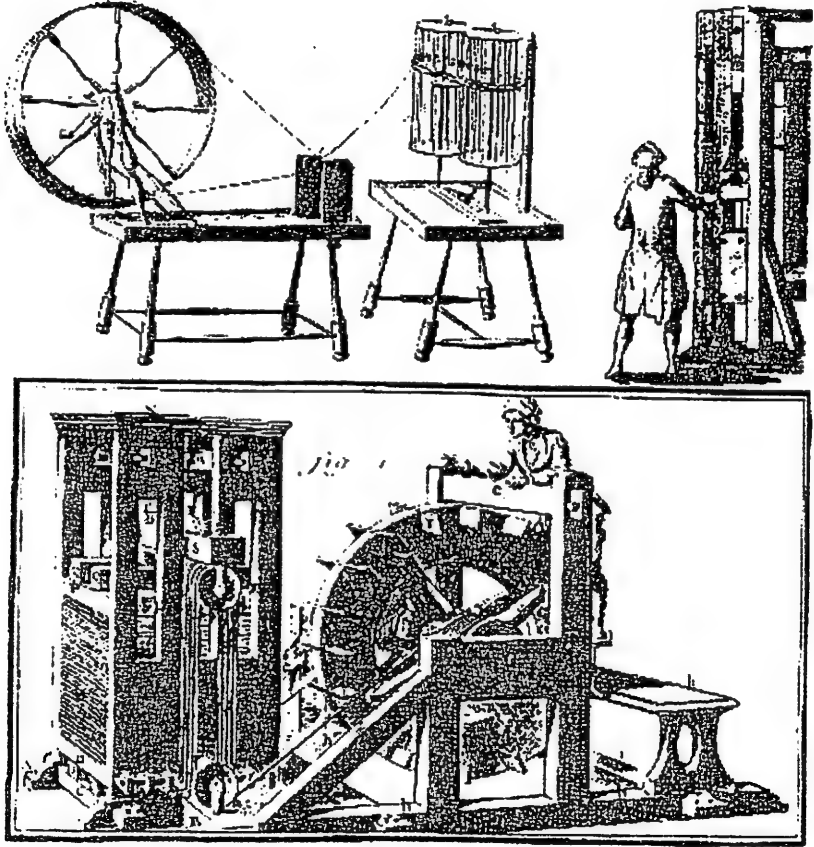


في مقاله عن علم الرنوك Heraldry^(١) وهو يرتبط بوساوس الأرستقراطية لاحظ الرجل النبيل شيفاليه دى چاكورت أنه لا توجد نشرة واحدة عن فن صناعة القمصان، والجوارب، والأحذية، والخبز، وكانت الموسوعة هي العمل الأول والفريد الذى وصف هذه الفنون والصناعات المفيدة للإنسان، فى حيث إن كتاب التجارة زاهر بالكتب عن العلم العايب السخيف عن شعارات النبالة.

(١) علم يتعلق بفن الشعارات وتصميمها لاسيما شعارات النسب. (المترجم)

الميتافيزيقا والآلات

التفرقة التقليدية بين الفنون «الحرة» والفنون «الآلية» كان لها تأثير سيئ في انحطاط الناس النافعين جدا والمحترمين جدا، وكما لاحظ ديدرو «كم كان حكما غريباً .. لقد طلبنا من هؤلاء الناس أن ينخرطوا في أعمال نافعة ثم ازدرينا الناس النافعين». لقد قارن ديدرو بين أعمال الآلة المعقدة بالنظام الميتافيزيقي المعقد، ولفت الأنظار إلى الطريقة التي ترسب بها المعرفة والتجارب البشرية في الآلات العملية.



في أى نظام فيزيقي أو ميتافيزيقي نجد نجاحا وذكاء، واتساقا وتمييزا أكثر من استخلاص الذهب، أو صناعة الجوارب، أو هياكل صانعي الضفائر، أو صانعي الشاش، وتجار الأقمشة، أو عمال الحرير...؟

ذروة النجاح

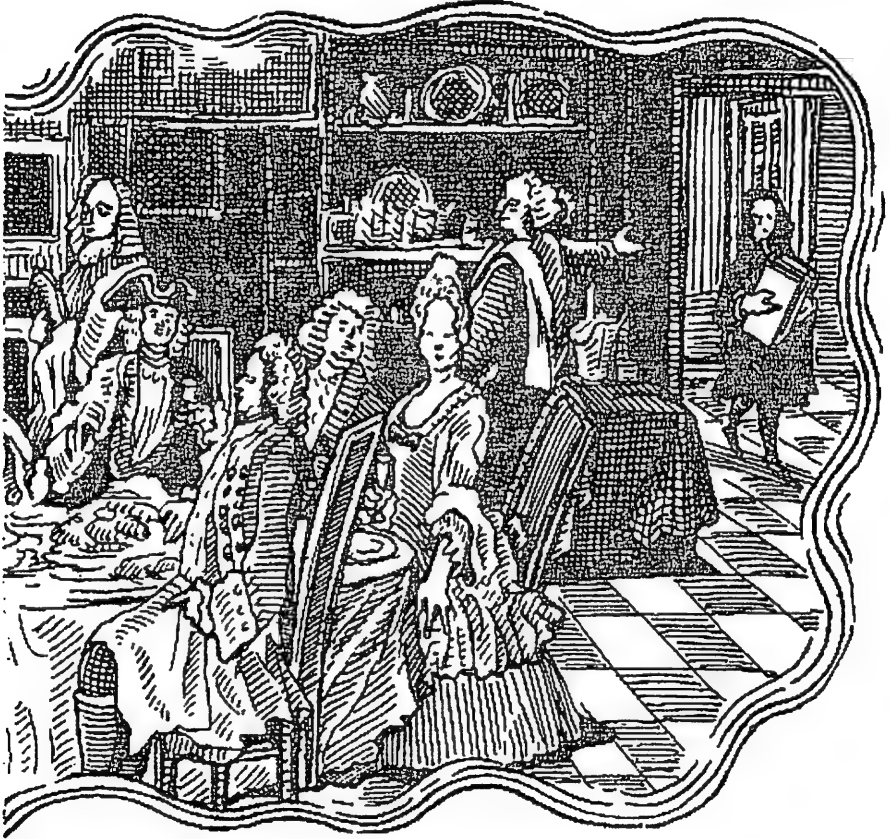
مجلدات الموسوعة باهظة الثمن خلبت ألباب المجتمع الراقى، وابتكر فولتير قصصا ليوضح تأثير الموسوعة على الطبقة الأرستقراطية، بل على الملك نفسه. «فى إحدى الليالى كان الملك يتناول طعام العشاء فى تريانون^(١) مع بعض أصدقائه المقربين، وتطرق الحديث إلى رياضة الصيد وإلى البارود...».



«لا يهم فسرعان ما نعالج المسألة، وفى لمحة كان خدم المنزل يهرولون لإحضار الموسوعة...»

(١) قصر صغير من قصور فرساي. (المترجم)

وفى الموسوعة تحت مواد: بارود، وروج (أحمر شفاه)، وغزل الحرير، كان هناك كل ما نحتاجه، وسرعان ما انقض الجميع على مجلدات الموسوعة، وما هى إلا لحظات حتى وجدوا كل ما يريدون، ووجد أولئك الذين يفكرون فى القانون ما يريدونه تماماً من الناحية القانونية، أما الملك فقد أراد أن يعرف شيئاً عن الامتيازات الملكية. وبينما الكل مشغول على هذا النحو فى تقليب الصفحات، صاح الكونت دى س... بصوت مرتفع سمعه الجميع...



« سيدى: أنت حقاً محظوظ بأن يكون لديك فى منطقتك رجال قادرون على السيطرة على جميع الفنون وتناول المعرفة للأجيال القادمة، فكل شيء هنا من الطريقة التى يصنع بها الدبوس، إلى الطريقة التى تحشو بها وتطلق المدافع، كل شيء من أفضال الأشياء إلى ما لا نهاية، إلى أكبر الأشياء إلى ما لا نهاية».

الهجوم على فلاسفة التنوير

لم يكن الترحيب بالموسوعة عاما وكليا، فقد واجهت مجموعة الفلاسفة التي تعمل بالموسوعة معارضة شرسة، فقد كتب المعارضون من أمثال: إيلي فريرون، وشارل باليسو، ويعقوب نيقولا مورو، مقالات وسخریات لاذعة، واتهم اليسوعيون الموسوعيين بالبيلاجية Pelagianism^(١). في عام ١٧٥٢ بعد نشر أول مجلدين من الموسوعة كانوا يقنعون الملك بمصادرتها.



وفي عام ١٧٥٧ أبلغ الصحفي «فريرو» الرقيب الأول ماليسيرب عن ديدرو.

.. وكان رأس الفتنة لمجموعة كبيرة؛ فقد كان رئيس جماعة متعددة تزداد وتتكاثر كل يوم عن طريق الدسائس والمؤامرات.



«وفي عام ١٧٦٠ كتب باليسو كوميديا عنوانها «فلاسفة التنوير»، هجا فيها روسو بكلام ساخر ووصفه بالمتوحش الذي يشبه القرد، كما سخر من هلفتيوس سخرية ميرة وكذلك من ديدرو، ودوكلويس».

... عصابة من المنافقين الذين لا مبادئ لهم، استغلوا مجموعة من السيدات العاطلات الساذجات للترويج لمؤامرات ومخططات طنانة ومرعبة.



(١) مذهب الراهب الإنجليزي Pelagius الذي ينكر توارث الخطيئة الأصلية. (المترجم)

أزمة عام ١٧٥٨

ترابطة ثلة فلاسفة التنوير بطريقة ملحوظة أكثر عندما خضعت بصورة حقيقية للتهديد.

وفي عام ١٧٥٨ أسهم دالمبير بكتابة مقال من جنيف ذهب فيه إلى أن دولة المدينة - هذه المزدهرة - تحسن صنعا لو أنها رفعت الحظر عن المسرح داخل جدرانها، ويبدو أنه ذهب أبعد من ذلك وتساءل عن استقامة لاهوتى المدينة، مما نتج عنه إعجاب متزايد. أما برلمان باريس فقد حرم الموسوعة.



«العاصفة التي هبت حول كتاب هلمتيوس «عن الروح» عام ١٧٥٨، والتحرير الذي صدر ضد موسوعة ديدرو في العام التالي، أدى إلى تلاحم فلاسفة التنوير في حزب، أكثر من صيحات فولتير الهستيرية ودعوته إلى الاتحاد. فالنقاد الذين حاولوا تدمير الحركة لم يفعلوا شيئا سوى تقويتها». بطرس جاي.

ماليشرب أو مسيو جيوم

كانت الموسوعة محظوظة إلى أقصى حد في هذه اللحظة من الأزمة التي تهددت المشروع كله؛ ذلك أن أحد أصدقاء الموسوعيين عينه والده - المستشار الجديد لفرنسا - في منصب الرقيب، واستمر كرتيان جيوم لامونون دي ماليشرب (١٧٢١ - ١٧٩٤) فترة طويلة في منصب متميز، كرجل دولة ليبرالي، وكرجل شجاع مستنير.



وقدّم ماليشرب في مناسبات كثيرة الحماية لـ «ديدرو» ودالمبير من وراء الستار. وفي عام ١٧٥٢ صدر أمر ملكي بحظر أول مجلدين في الموسوعة، كما صدر أمر باحتجاز كل المواد واللوحات التي لم تنشر، ودعا ماليشرب ديدرو إلى إخفاء المخطوطات الموجودة بحوزته في مكان أمين .. وأمن مكان في رأيه هو منزل ماليشرب نفسه.

الملك: ما له وما عليه

عندما جرد الملك برلمان باريس من جميع سلطاته القانونية في عام ١٧٧١ وعين بدلا منه «مجلسه الأعلى» خطر في بال ماليشرب إصدار «بيان احتجاج» يدعو فيه «مجلس الأمة» إلى الانعقاد. وفي السنوات الأخيرة «للنظام القديم» أصبح «مسيو جيوم» من أكثر الناس المحبوبين في فرنسا؛ نظرا لدوره الرئيسي في تشجيع الإصلاح.



وحتى وهو رئيس لإدارة القصر الملكي ظل يرتدى ملابس رثة في تحد متعمد لإتيكيت قصر فرساي، فقد كان شغوفاً للغاية بالتوفير والاقتصاد والإصلاح ليتناسب مع رأي البلاط في تلك الأيام، شعر بأنه مضطر للاستقالة.

مغامرات مسيو جيوم

كان الإبعاد المنتظم من الوظيفة (كعقاب لاستقلال ذهنه) قد أمد ماليشرب بالوقت للانغماس في رسالته الحقيقية: دراسة علم النبات.

تركزت طموحاتي في أن أنجح في دحض النظريات الطبيعية عند بوفون الذي أعلنت أنه وغد وأحمق، وأن أقوم بترميم أعمال أستاذي العقلي لينوس^(١) Linnaeus



وفي عزله في قصره أقام أوسع حديقة علمية في فرنسا وأصدر أربعين مجلدا عن الأعشاب (مذكرات نباتية).



وفي عام ١٧٧١ عشر ليشرب على جثة زوجته، في الغابة قرب المنزل؛ فقد قتلت نفسها ببندقية.

(١) كارل لينوس (١٧٠٧ - ١٧٧٨): عالم نبات سويدي يعتبر مؤسس علم النبات الحديث. قسّم النباتات إلى شعب، وطبق ذلك على الحيوان أيضاً. (المترجم)

كان ليشرب يعتقد - مسائرا في ذلك المبادئ السياسية لعصر التنوير - أن كل إنسان -
حتى الملك - ينبغي أن يخضع للقانون وأن يتمتع بمزاياه.



وكانت النتيجة أن انتهت حياة ليشرب على المقصلة.

ديفيس ديدرو

ميول ديدرو النبيلة كثيرا ما أزعجت والده، إلا أن صورته أمام نفسه ككاتب ومثقف، تشكلت - بالقطع - على احترام قيم والده: صانع السكاكين، ولقد فهم ديدرو أن الكتابة صنعة أو حرفة تتطلب العمل الشاق والنظام.



ظل ديدرو باستمرار على علاقة ممتازة بأخته العانس التي شوهدت وجهها واضطرت إلى تركيب أنف صناعي بقية حياتها، وكان لديدرو شقيقة أخرى أصبحت بإرادتها راهبة، ثم أصيبت بعد ذلك بالجنون وماتت في الثامنة والعشرين من عمرها. أما شقيقه ديديه فقد كان في البداية قسيسا ثم أصبح بعد ذلك قمسا في كاتدرائية. ماذا يطلق هؤلاء المسيحيون على الكمال الإنجيلي؟ لا شيء سوى الفن الميث للطبيعة الخائقة، وكان يمكن لديديه أن يكون صديقا جيدا، وأخا جيدا، لولا أن المسيح أمره أن يسحق كل هذه التفاهات تحت قدميه.

التاريخ السرى لروحه

فى عام ١٧٤٢ تزوج ديدرو - سرا وضد رغبة والده - من فتاة فقيرة لكنها جميلة، هي أنطوانيت شامبيون، ولم يبلغ سن الرشد سوى ابن وحيد لهما هو أنجيليك. مدام ديدرو كان أصدقاؤها يعتبرونها امرأة صعبة الرأس إلا أن ديدرو ظل مخلصا لها على طريقته. وفى عام ١٧٥٥ التقى بالحب العظيم فى حياته صوفى فولاند.



وكان يقدر فيها صراحتها ووضوحها فى التعبير عن نفسها، واستمرت علاقتهما ربع قرن، ولم يفصلهما سوى موتها عن ثمان وستين عاما.



ديدرو والأصدقاء

«ولدت كثير الكلام لا أميل إلى الكتمان بقدر المستطاع». لقد كان ديدرو متحمسا لدرجة نسيان نفسه، يمكن معرفته بطريقة مذهلة، ويريد أن يكون مهتما بأي شيء على نحو مطلق، ويمكن أن تكون له نظرية عن ذلك. كان ديدرو متحمسا ومتحدثا لا يرتوى، يذرع الحجرة جيئة وذهاباً بلا توقف، ويخلع شعره المستعار، إذا اشتعل حماساً لموضوع ما..

لمصلحتي ولمصلحة أصدقائي كنت أقرأ، وكنت أكتب وأتأمل، وأصغي، وأنظر،



وأشعر، وفي غيابهم كان إخلاصي يرد كل شيء إليهم، وكنت أحلم، بلا توقف، بسعادتهم... ومن أجلهم كنت أركز في استخدام كل حواسي، وكل ملكات ذهني وربما كان هذا هو السبب الذي من أجله كان هناك في خيالي وحديثي تحسن ضئيل في الأمور مع قدر من المبالغة. وكانوا أحياناً يلومونني على ذلك: الأوغاد ناكرو الجميل!

ما المقصود بالموسوعة؟

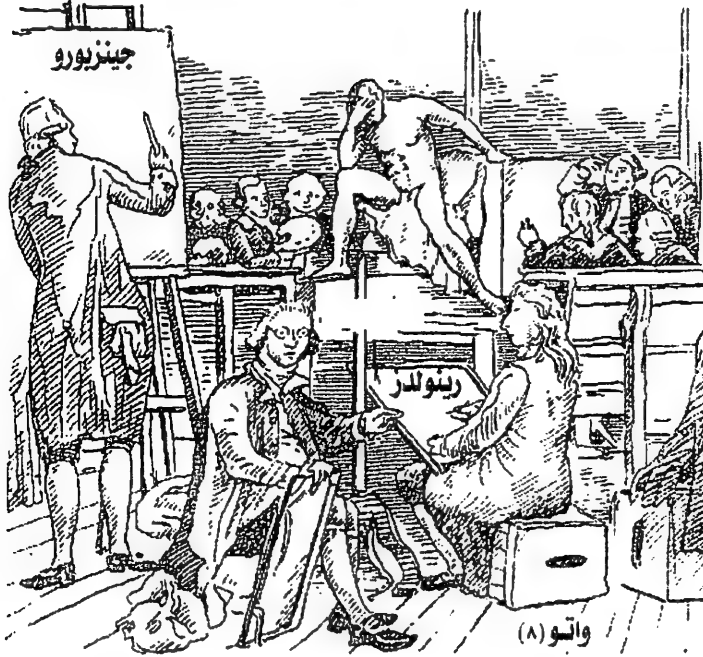
كان هناك مقال ممتاز عنوانه «الموسوعة» يُعلم فيه ديدرو المشتركين أن الكلمة يونانية الأصل: وهي تعني «الارتباط المتبادل لكل معرفة»، أقرب إلى الطلسم أو التعويذة نجدها حاضرة في الكثير من كتابات ديدرو. «والحق أن الهدف من الموسوعة هو تجميع كل المعارف المتناثرة فوق ظهر الأرض؛ لكي نقدم خيوطها العامة وبنيتها للناس الذين نعيش معهم، وننقل ذلك إلى أولئك الذين سيأتون من بعدنا، حتى يكون عمل القرون الماضية مفيدا للقرون اللاحقة».



إن محاولة إعداد «موسوعة» هو عمل ينتمي إلى العصر الفلسفي حسب العمل الذي يذهب إلى أن كل شيء لا بد من فحصه ومناقشته وبحثه بغير استثناء، وبغض النظر عن مشاعر أي إنسان، ولا بد لنا من تحطيم الحواجز التي لم يضعها العقل أبداً، وأن نعيد إلى الفنون والعلوم الحرية التي هي ثمينة ونفيسة بالنسبة إليها. لقد دفع القرن الماضي العلوم والفنون على قدر ما تستطيع أن تذهب.. ومهمة القرن الحالي هي تجميع هذه الإنجازات في جسد واحد ونقله إلى الأجيال القادمة.

الفن فى عصر التنوير

اللوحات الأخلاقية لوليم هوجارت (١٦٩٧ - ١٧٦٤)^(١) تقارن بقصص ريتشاردسون وفيلدنغ من حيث ثراء معلوماتها، ولقد كانت السخرية المرئية الشعبية تراثا واصله توماس رولاندسون (١٧٥٦ - ١٨٢٧)^(٢)، وچيمس جيلراى (١٧٥٧ - ١٨١٥)^(٣)،



-
- (١) ولیم هوجارت (١٦٩٧ - ١٧٦٤): رسام إنجليزى تغلب على كثير من أعماله روح النقد الاجتماعى اللاذع، من أشهر لوحاته: «زواج على الموضة» فى ست لوحات. (المترجم)
- (٢) توماس رولاندسون (١٧٥٦ - ١٨٢٧): رسام كاريكاتير إنجليزى استقر فى لندن لرسم لوحات وصور الأشخاص عام ١٧٧٧ رسم سلسلة من اللوحات بعنوان: «رحلات دكتور ستاكس». (المترجم)
- (٣) جيمس جيلراى (١٧٥٧ - ١٨١٥): رسام كاريكاتير إنجليزى، وقد اشتهر بصفة خاصة بسبب لوحاته السياسية التى يسخر فى كثير منها من الأسرة المالكة. (المترجم)

وتوماس جينزبورو (١٧٢٧ - ١٧٨٨) ^(١) ويشوع رينولدز (١٧٢٣ - ١٧٩٢) ^(٢) الذى رسم صوراً للأثرياء من رعاة الفنون الذين كانت اهتماماتهم العملية توضحها لوحات الحصان التى رسمها جورج ستبس (١٧٢٤ - ١٨٠٦) ^(٣) واللوحات العلمية والصناعية التى رسمها جوزيف رايت أوف ديربى (١٧٣٤ - ١٧٩٧) ^(٤).

أما الفن فى إيطاليا فهو يعكس أمجاد الماضى فى عصر النهضة وعصر الباروك فى تحف فنية طوبوغرافية لـ : أنطونيو كاناليتو (١٦٩٧ - ١٧٦٨) ^(٥) وجيام باتستا تيابولو (١٦٩٦ - ١٧٧٠) ^(٦) تصور الأطلال القوطية وكذلك السجون التى تخيلها جيوفانى باتستا بيرانزى (١٧٢٠ - ١٧٧٨) ^(٧) التى تكشف عن جانب الخيال المظلم فى عصر التنوير.

-
- (١) توماس جينز بورو (١٧٢٧ - ١٧٨٨) : رسام إنجليزى يعتبر أحد أعظم الرسامين البريطانيين فى القرن الثامن عشر، من أشهر لوحاته «حديث فى حديقة» عام ١٧٤٦ و«السيد والسيدة أندروز» ١٧٥٠ و«عربة الحصاد» عام ١٧٦٧. (المترجم)
- (٢) السير يشوع رينولدز (١٧٢٣ - ١٧٩٢) : رسام إنجليزى يعتبر عند بعض النقاد أعظم الرسامين الإنجليز فى كل العصور من أشهر لوحاته «سن البراءة» و«نيللى أوبريان». (المترجم)
- (٣) جورج ستبس (١٧٢٤ - ١٨٠٦) : رسام إنجليزى نشر «تشريح الحصان» عام ١٧٦٦ الذى استخرج منه نقوشا على ألواح كثيرة، لاسيما لوحاته الدقيقة عن الخيل. (المترجم)
- (٤) جوزيف رايت أوف ديربى (١٧٣٤ - ١٧٩٧) : رسام إنجليزى مشهور بلوحات عن «ضوء الشمع» و«بجوار المدفأة». (المترجم)
- (٥) أنطونيو كاناليتو (١٦٩٧ - ١٧٦٨) : رسام إيطالى من مواليد البندقية عُنَى بتصوير المدن ومظاهر الحياة فيها وبخاصة فى البندقية وإنجلترا، من أشهر لوحاته «القناة العظيمة» و«إيتون وكينستها». (المترجم)
- (٦) تيابولو، جيوفانى . باتستا (١٦٩٦ - ١٧٧٠) : رسام إيطالى أشهر لوحاته الحصية الضخمة التى زين بها عددا من القصور والكنائس ، فى أعماله أصالة متميزة من آثاره «أنطونيو وكليوبترا» (المترجم)
- (٧) بيرانزى، جيوفانى باتستا (١٧٢٠ - ١٧٧٨) : مهندس ورسام إيطالى اشتهر بتصوير المواقع الرومانية الكلاسيكية والمعاصرة وقد أسهمت رسومه المعمارية الكلاسيكية فى نمو الحركة الكلاسيكية الجديدة فى القرن الثامن عشر. (المترجم)
- (٨) واتو، جان أنطوان (١٦٨٤ - ١٧٢١) : رسام فرنسى، عدّه بعض النقاد مؤسس المدرسة الفرنسية فى الرسم، عُنَى بتصوير الوجوه والمناظر الطبيعية، من أشهر أعماله «الكوميديون الإيطاليون» و«طعام الفطور فى الهواء الطلق» و«اللامبالي». (المترجم)

الأرستقراطية الفرنسية الرائعة وما فيها من إفراط وإسراف روج لها رسامو الركوك^(١) من أمثال : أنطوان واتو (١٦٨٤ - ١٧٢١) وفرانسوا بوشيه (١٧٠٣ - ١٧٧٠)^(٢) . ولقد كتب ديدرو عن الرسامين الجدد الذين كانوا يعرضون فنهم في صالونات باريس، وكان فنه في النقد يمزج بين الأحكام الأخلاقية (كان يعتقد أن بوشيه كان غير أخلاقي) والأحكام الجمالية، ولقد كان يعجبه من بين الفنانين جان سيمون شاردان (١٦٩٩ - ١٧٧٩)^(٣) و جان بابتست جروز (١٧٢٥ - ١٨٠٥)^(٤) و جان أوتورو فراجونا، (١٧٣٢ - ١٨٠٦)^(٥) الذي تطلع إلى رؤية أخلاقية جديدة يمكن أن تتعرف على الناس والأحداث في موازاة مع نظراته لأشكال الدراما الجديدة.

وكان مصطلح علم الجمال أو الإستايطيقا قد صاغه المفكر الألماني أ. ج. بومجارتن (١٧١٤ - ١٧٦٢) تلميذ الفيلسوف كريستال فولف (١٦٧ - ١٧٥٤) وقد نشر بومجارتن كتابه عن الإستايطيقا عام ١٧٥٠. أما علم الآثار وفن التاريخ فقد أسسها يوحنا يواخيم فنكلمان (١٧١٧ - ١٧٦٨) الذي شرع مع الرسام الألماني أنطون روفائيل مينجرز (١٧٢٨ - ١٧٧٨) في إحداث أسلوب ثوري لمذهب الكلاسيكية الجديدة في روما حوالي عام ١٧٥٠. ولقد أثرت كتابات الإيرل شافتسبري (١٦٧١ - ١٧١٣) تلميذ لوك في المناقشات حول الذوق، كما أثرت في بحث للمفكر إدموند بيرك (١٧٢٩ -



١٧٩٧) عنوانه «بحث فلسفي في أصل أفكارنا عن الجليل والجميل» (١٧٥٦) ولقد عرض إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) تحليلا للجميل والجميل في كتابه «نقد ملكة الحكم» عام ١٧٩٠.

(١) الركوك Rococo : أسلوب في الفن والعمارة نشأ في باريس في مطلع القرن الثامن عشر، وراج في فرنسا وأوروبا الوسطى خلال النصف الثاني منه وذلك بعد انقضاء عصر الباروك: يتميز بالمبالغة في الزخرفة والإكثار من استخدام المرايا وأشكال «القواقع والصدف». ولفظ «الركوك» مشتق من كلمتين فرنسيتين هما Rocaille ومعناها الزخرفة و Coquille ومعناها الصدفة أو القوقعة . (المترجم)

(٢) فرانسوا بوشيه (١٧٠٣ - ١٧٧٠): رسام فرنسي يعتبر أحد أشهر الرسامين الفرنسيين وأغزرهم إنتاجا، شملته مدام بومبادور- وكان أستاذا في الرسم - برعايتها، اشتهر بتصويره الموضوعات الدينية والمثولوجية والرمزية والريفية، من أروعها الفطور عام ١٧٣٩ . (المترجم)

(٣) جان بابتست سيمون شاردان (١٦٩٩ - ١٧٧٩): رسام فرنسي عرف بلوحاته التي تصور الحياة المنزلية الهادئة وموضوعات الطبيعة الصامتة من أشهر لوحاته «سمك اللورنك» عام ١٧٢٧ . (المترجم)

(٤) جان بابتست جروز (١٧٢٥ - ١٨٠٥): رسام فرنسي لوحاته ذات موضوعات عاطفية أو أخلاقية في المحل الأول. من أشهر أعماله «المخطوبة القروية» عام ١٧٦١ و«اللثة الأبوية» عام ١٧٦٥ و«الإبريق المكسور» عام ١٧٧٣ وهي كلها محفوظة في متحف اللوفر في باريس. (المترجم)

(٥) فراجونار، جان أدنريه (١٧٣٢ - ١٨٠٦): رسام فرنسي يعتبر أحد أبرز رسامي الطبيعة في تاريخ الفن كله، تتميز لوحاته بالجللاء والرشاقة من أشهرها: «المنفصلات» و«درس الموسيقى» و«جزيرة الحب» ، و«الأرجوحة» . (المترجم)

جان چاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨)

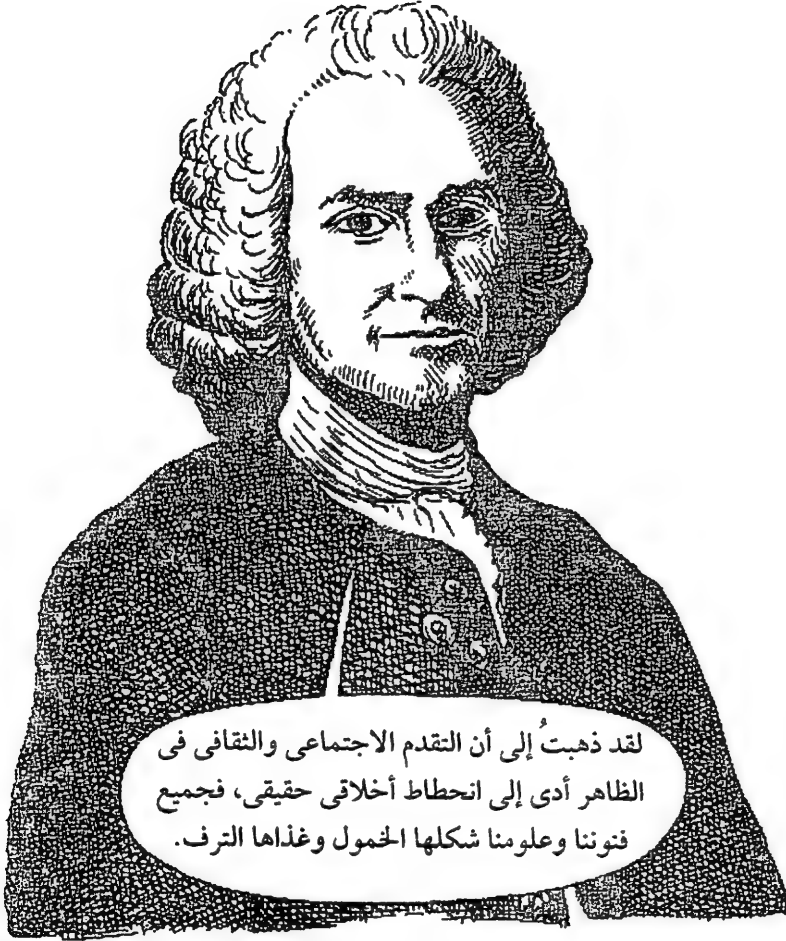
ولد روسو في مدينة جنيف وهي جمهورية (دولة المدنية) بروتستانتية كالفينية في سويسرا يحيط بها عدد كبير من الدوقيات الكاثوليكية والإمارات والممالك. وتوفيت والدته بعد ولادته بوقت قصير. وقد تلقى تعليماً رسمياً، في سن الخامسة عشرة أخذ إلى منزل بارونة سويسرية كاثوليكية هي مدام دي فارن التي كانت تأمل في تحويله إلى الكاثوليكية وإكمال تعليمه.



أما بالنسبة إلى الموسوعة فقد كتب روسو فيها مقالاً عن «الاقتصاد السياسي» ومعظم المقالات في موضوعات موسيقية، كما تم قبول روسو في الحلقات الثقافية المهيبة في باريس - ومن فلاسفة التنوير - على أنه واحد من جماعتهم.

تحديات روسو

بأول بحث مهم له «مقال عن الفنون والعلوم» عام ١٧٤٩ تحدى روسو خاصية أساسية في عصر التنوير، ولخص موضوعا سوف يواصل تطويره في جميع كتبه المتأخرة.



لقد ذهبتُ إلى أن التقدم الاجتماعي والثقافي في
الظاهر أدى إلى انحطاط أخلاقي حقيقي، فجميع
فتوننا وعلومنا شكلها الخمول وغذاها الترف.

وكان بحث روسو المهم التالي هو مقال في أصل التفاوت عام ١٧٥٥، رسم كذلك صورة للتاريخ البشري على أنه تجل للفساد المتدرج والانحطاط المتوالى. غير أن التنطع والترف والتعليم ليست مسئولة إلا عن التفاوت واللامساواة، فقام روسو بتعقب جذور التفاوت في الملكية الخاصة وما ينتجه من حقد وحسد.

مقال عن أصل التفاوت

«وهكذا ينتشر التفاوت الطبيعي نفسه بالتدريج مع تفاوت الاختلاط على وجه غير محسوس، ويتطور الاختلاف بين البشر تبعاً لاختلاف ظروفهم ويصبح أكثر دواما ومحسوسا أكثر في نتائجه، ويبدأ في التأثير - بالنسبة نفسها - في جميع الأفراد.

لقد أصبح الناس يهتمون الآن بالظهور بما ليسوا عليه حقيقة، فما تكونه وما تبدو عليه أصبحا الآن شيئين مختلفين أتم الاختلاف، وينبع من هذا التمييز فخامة وقحة متعجرفة، والغش والاحتيال، مع العديد من الرذائل التي تسير في أعقابها. ومن ناحية أخرى فإن الموجودات الحرة المستقلة كما كان البشر، وعلى نحو ما هم الآن، ونتيجة للحاجات الجديدة، خضعوا - إن صح التعبير - للطبيعة كلها، كما خضع الواحد منهم للآخر بصفة خاصة، وأصبح كل واحد منهم، إلى حد ما، عبدا حتى وإن أصبح سيذا للآخرين: ولو كانوا أغنياء فهم بحاجة إلى خدمات الآخرين، ولو كانوا فقراء فهم في حاجة إلى مساعدة الآخرين، وحتى الحاجة البسيطة لا تمكنهم من العمل بدون بعضهم البعض. وباختصار ظهرت العداوة والتنافس من ناحية والاهتمامات المتضاربة من ناحية أخرى، مع الرغبة السرية في الحالتين في الربح على حساب الآخرين وجميع هذه الشرور كانت النتائج الأولى للملكية الخاصة، وما يرتبط بها من نمو للتفاوت وعدم المساواة.

قبل اختراع العلامات والرموز التي تمثل الأغنياء كانت الثروة لا تعتمد على شيء قدر اعتمادها على الأرض وقطيع الماشية، فتلك هي الحياة الوحيدة التي يستطيع البشر امتلاكها: وما لبث الأثرياء من جانبهم أن بدأوا في تذوق لذة إصدار الأوامر، حتى ازددوا الآخرين جميعا، وعرف الأغنياء أنهم تأسسوا على أسماء زائفة محفوفة بالمخاطر، حتى إذا ما أخذ الآخرون منهم عنوة ما ربحوه هم أنفسهم بالقوة، فلن يكون لديهم مبرر للشكوى...».



قُولتير فى مواجهة روسو

أرسل «روسو» نسخة من هذا الكتاب إلى قُولتير الذى اعترف بتسلُّمه فى رسالة.

تسلَّمت - يا سيدى - كتابك الجديد ضد الجنس
البشرى، وأشكرك عليه، فلم يحدث أن استخدم
مثل هذا القدر من الذكاء لتحويلنا إلى
حيوانات، فبعد أن يفرغ المرء من قراءة كتابك
يجد لديه الرغبة فى أن يسير على أربع، لكن لما
كنتُ قد فقدت هذه العادة منذ أكثر من ستين
عامًا، فإني أخشى أن لا يكون فى استطاعتى
استعادتها من جديد.

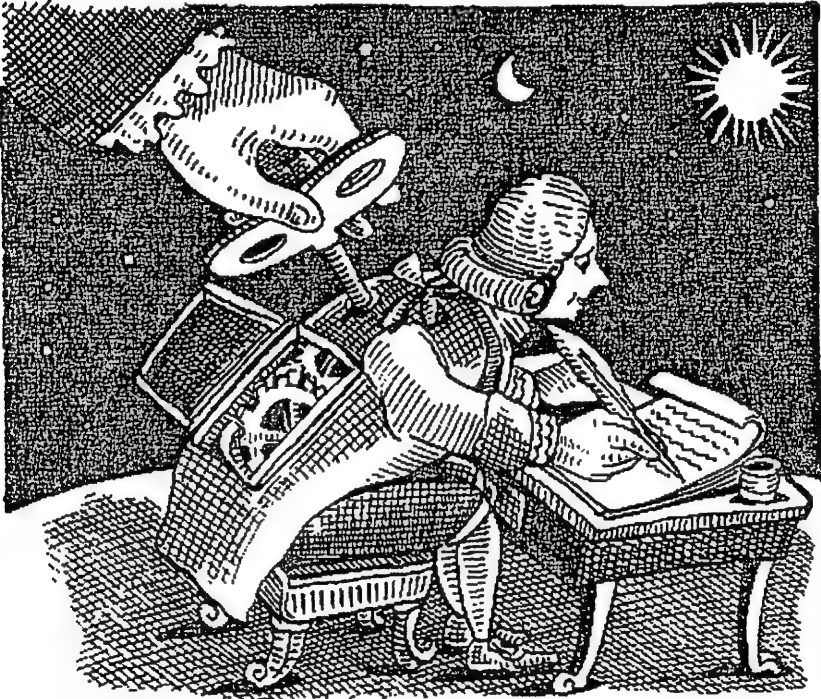
لا تحاول أن تعود إلى السير على
أربع فلن تجد أحدًا يمكن أن ينجح
فى ذلك، بل عليك أن تعلمنا كيف
نقف على قدمينا وأن نكف عن أن
نقف على قدميك أنت...



يظهرنا التاريخ فى رأى روسو على أن التقدم قد زاد من فساد الناس، لكنه يوافق على
أن الوقت قد حان ليكون سبب هذا الفساد هو نفسه «بحسب أن يمنع تحويله إلى ما هو
أسوأ... فالحال أشبه بترك السكين فى الجرح خشية أن تموت الضحية لو جذبتها منها...».

الطبيعة والتاريخ الطبيعى

كان المفكرون فى كل مكان - إبان النصف الأول من القرن الثامن عشر- لا يزالون يحاولون هضم مضامين حسابات نيوتن، فقد وصلت التأملات حول طبيعة الإنسان إلى ذروتها فى نموذج «الإنسان الآلة» أو بالأحرى الحيوان الآلى. فديدرو الذى كان يفهم الطب فهما جيداً والذى سحرته التطورات الجديدة فى حياة العلوم - انجذب لتأمل مضامينها لفهمنا للجنس البشرى. لقد سحرته فكرة أن كل شىء فى الكون مترابط، وقد أدى به ذلك إلى حشد من التشابكات والنظرات والافتراضات بعيدة النظر.



سألت العالم الطبيعى عما إذا كان الكون أو المجموعة العامة من كل ذرات التفكير والشعور شكل كلا واحداً أو لا: فلو أجاب أنها لا تشكل كلا واحداً فإنه يهدم وجود الله بكلمة واحدة عن طريق إدخال الاضطراب والفوضى فى الكون، وهو بذلك سوف يدمر أساس الفلسفة عن طريق تحطيم السلسلة التى تربط بين جميع الموجودات. ديدرو: «أفكار حول تأويل الطبيعة».

الطبيعة بوصفها نسقًا: لينوس

الدكتور السويدي وعالم الطبيعة «كارل لينوس» (١٧٠٧ - ١٧٧٨) مَيَّزَ تمييزاً تاماً بين الموجودات الحية وغير الحية . وساعد في تأسيس «علوم الحياة» مثل «علم النبات» و«علم الحيوان» لمجالات منفصلة من البحث.



نظام التسمية الثنائية الذي تصنّف الكائنات الحية بواسطته وتعطى لها أسماء (لكل جنس أو اسم العائلة ونوع أو اسم الفرد) ونحن مدينون بهذا التصنيف إلى لينوس Linnaeus فقد رأى أن الطبيعة عبارة عن كل منسجم، نسق متوازن ومتربط خلقه الله. وتجول تلامذته في أنحاء العالم على سفن تجارية، أو مع مستكشفين من أمثال «كابتن كوك»..

الطبيعة بوصفها تاريخاً: بوفون

آراء لينوس تحداها جورج لويس ليكرك كونت دي بوفون (١٧٠٧ - ١٧٨٨) الذي بدأ عام ١٧٤٨ بنشر ٣٦ مجلداً من كتابه «التاريخ الطبيعي» إبان حياته، وقد أكملها بثمانية مجلدات (١٧٨٨ - ١٨٠٤) بعد وفاته، وقد غطى الكتاب جميع الموضوعات في الطبيعة من الإنسان والطيور إلى القشريات، والأسماك، والمعادن، وقد كتب بلغة دقيقة ومحكمة.



علم تصنيف الأحياء عند
لينوس علمنا فقط فن جعل
العالم يبدو أبسط مما هو عليه..
وأنا لم أقدم نسقا، بل وصفا
لسلسلة من التفصيلات الجزئية
العارضة...

واستخدم دليلا من الحفريات وتجارب فزيقية للبرهنة على أن العالم والحياة نفسها أبعد في القدم بأكثر مما يعتقد اللاهوتيون. وعنوان كتابه «التاريخ الطبيعي» يلفت النظر إلى إيمانه بأن العالم في حالته الراهنة ليس في الحالة نفسها التي كان الله قد خلقه عليها. ولقد أدانت كلية اللاهوت، في السوربون، هذا الكتاب.

فضيحة المذهب المادى

ارتبط بعض فلاسفة التنوير ارتباطا وثيقا بالموسوعة وطوروا نظرة إلى العالم: مادية، حتمية، إلحادية.



يمكن أن نتعقب أى معرفة عائدتين إلى الإحساسات أو الانطباعات التى تلقيناها من العالم الخارجى، وليس التطور الفردى سوى نتيجة لتراكم هذه الانطباعات . وبدت الأفكار اللاهوتية التقليدية مثل «النفس» «افتراضات غير ضرورية».

لامترى وهلفتيوس

المادى الفاضح المتطرف فى عصر التنوير هو الطبيب جوليا أوفروى دى لامترى (١٧٠٩ - ١٧٥١) الذى زعم كتابه «الإنسان الآلة» أنه من الممكن تفسير جميع الملكات البشرية: العقلية والروحية وكذلك المادية الفيزيكية عن طريق تنظيم المادة، ومن ثم لم تعد هناك حاجة لأى نوع من النفس.



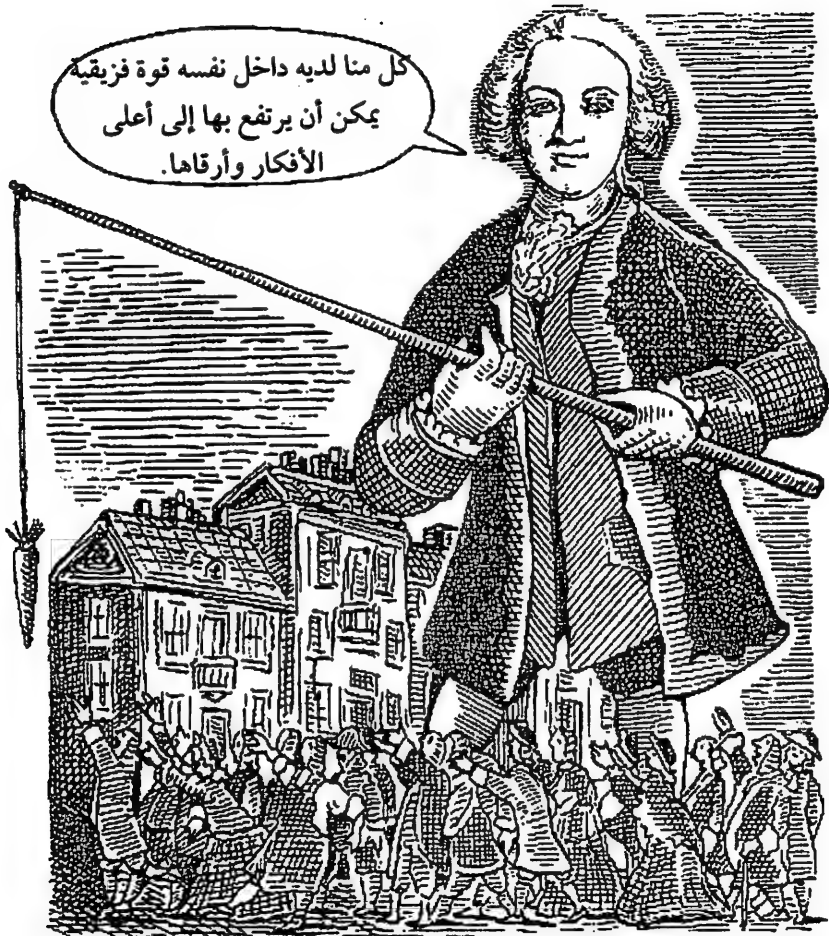
وما هو فضيحة أكثر بالنسبة لمعاصريه - بمن فيهم ديدرو وهولباخ - كان النتيجة التى انتهى إليها دى لامترى من أنه لا توجد معايير أخلاقية مطلقة وأن الإنسان تحكمه باستمرار دوافع مادية. واضطر إلى الهرب أولاً من باريس، ثم بعد ذلك من هولندا، واستقر فى النهاية فى بروسيا تلبية لدعوة الملك فردريك الأكبر.

فى يوليو ١٧٥٨ صديق ديدرو الفيلسوف صاحب التفكير الحر كلود أندريان هلفتيوس (١٧١٥ - ١٧٧١) نشر بحثا عن الروح أثار فضائح عنيفة. وكانت مادية هلفتيوس من النوع السلوكى امتدادا لأفكار لوك وكوندياك، مفسرا كل المعرفة البشرية والسلوك على أنها ثمرة التربية والتعليم من خلال التجربة الحسية والاجتماعية، ولقد رفض هلفتيوس أن يفكر فى العوامل الفسيولوجية، لكنه مع ذلك تحدى الفهم الجبرى للأخلاق.



المذهب المادى وتحسين الموجودات البشرية

اعتقد هلفتيوس أن جميع البشر يولدون متساوين أساسا فى ملكاتهم، أما الخلافات الفعلية بين الناس فهى ترجع إما إلى اختلافات فى قوة عواطفهم وانفعالاتهم، أو إلى أحداث تربيتهم.



وصل كتاب «عن الروح» إلى الذروة فى رؤيته لتحسين أحوال الموجودات البشرية؛ إذ يستطيع المشرع الحكيم عن طريق إعداد مكافآت للفضيلة المدنية وإثارة العواطف والانفعالات، وبالتالي التغلب على القصور الذاتى للعقل، ولقد وجد ذلك صدى عند خطباء الثورة الفرنسية.

هولباخ

البارون دي هولباخ (١٧٢٣ - ١٧٨٩) عالم ألماني استقر في باريس (١) حيث كتب أكثر من ٤٠٠ مقالة أساسا عن الكيمياء وعلم المناجم، كتبها للموسوعة بصفة خاصة. وكان «هولباخ» «مضيفاً كريماً» كانت حفلات العشاء عنده «مأدبة» للقادة الراديكاليين في باريس، وكان الزوار من خارج فرنسا على مائدته من أمثال: لورنس شتيرن، وهوراس ولبول، وآدم سميث من بريتن. وسيزار بونزانا، ومارشيز دا بيكاريا، المصلح القانوني العظيم من ميلان، وبنيامين فرانكلين من أمريكا. وعندما كان يعمل بالسفارة البريطانية في باريس كان الفيلسوف التجريبي ديفيد هيوم كثيراً ما يتناول طعام العشاء على مائدة هولباخ.

لقد اندهشت عندما رأيت مثل هذا العدد الكبير من الملاحدة معا على المائدة.

عبد كبير؟ أه! يا سيدى نحن تقريبا كلنا هنا ملاحدة.



(١) جاء «هولباخ» من ألمانيا إلى العاصمة الفرنسية منذ نعومة أظفاره على رأس ثروة هائلة، وجعل من داره ملتقى لكاتب العصر، وقد بلغ من بدخ حفلات العشاء أن أطلق الأب جالياني على هولباخ لقب «سفرجي الفلسفة الأول!». (المترجم)

مصنع المفكرين الأحرار

بعد رحلة قام بها هولباخ إلى إنجلترا عام ١٧٥٦ (حيث قضى بضعة أيام في صحبة الممثل ديفيد جاريك، وأيضاً في صحبة صديق من أيام الدراسة، وهو المتطرف والإباحي جون ويلكز) قرر هولباخ أنه قد آن الأوان للقيام بحملة أشد جرأة على الأفكار اللاهوتية المتوارثة.



وأصبح كتاب هولباخ نفسه «نسق الطبيعة» عام ١٧٧٠ نصاً مادياً سبى السمعة أخذ فيه بوجهة نظر اختزالية تماماً. فالإنسان موجود طبيعي خالص، والإنسان الطبيعي هو إنسان يعمل تحت ضغط الأسباب التي تتكشف لنا عن طريق حواسنا، وأما الإنسان الأخلاقي فهو إنسان يعمل من خلال أسباب فزيقية لا تتكشف لنا على نحو مباشر.

حلم دالمبير

وجهة نظر هولباخ عن النوع البشرى تشبه وجهة النظر التى كشف عنها ديدرو بصورة دقيقة ومتشابهة وهى التى كتبها فى «حلم دالمبير» عام ١٧٦٩، لكنه لم ينشرها أبداً. ولقد كان ديدرو بوصفه كاتباً شاباً مناضلاً، قد قضى ثلاث سنوات فى حياته يترجم معجماً مهماً عن الإنجليزية، ولقد دعم افتتانه بالمجال كله خلال عقود العمل فى الموسوعة.



ونتيجة لذلك أصبحت تأملاتى
وثائق مع الوقائع والنظريات
المأخوذة من علم البيولوجيا،
وعلم الفسيولوجيا، والطب،
والكيمياء.

أكد ديدرو عن طريق تلخيص الأفكار فى صورة حوار وحلم، على طابعها الافتراضى، وتعتمد البرهنة عليها على مستقبل المكتشفات العلمية.

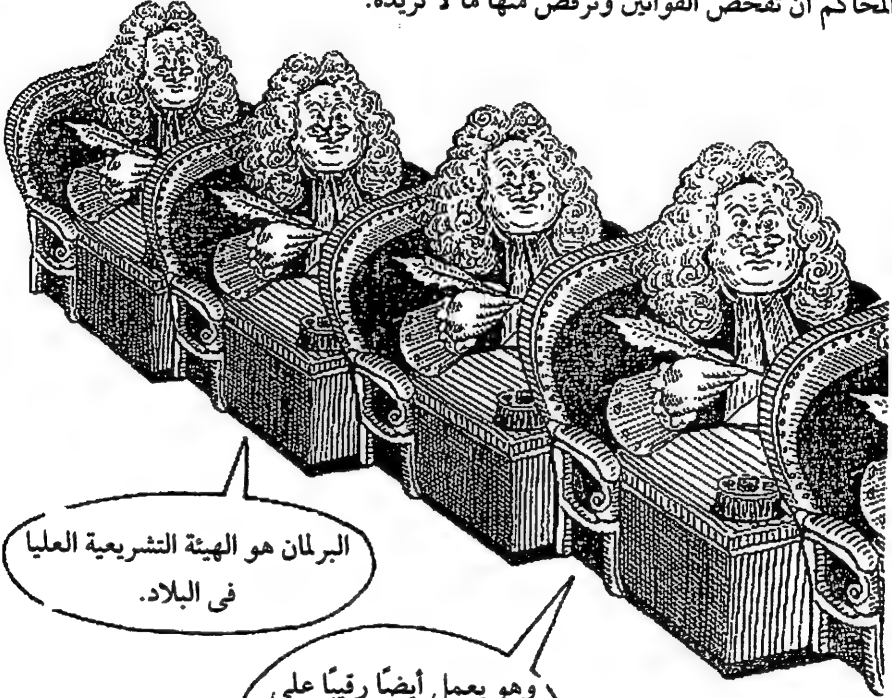
صديقان: مدموزيل دي إسبيناس وبوردو اهما بعلاج دالمير من هلوسته.





البرلمانات الفرنسية

انقسمت فرنسا، في القرن الثاني عشر، انقساماً عميقاً حول مسألة السلطة السياسية. فقد كان الملك ووزرائه، بمعنى ما، في نزاع دائم مع البرلمانات، أما المحاكم الفرنسية العظيمة فقد كانت تسيطر عليها الطبقة الأرستقراطية، التي ادعت أن من حق هذه المحاكم أن تفحص القوانين وترفض منها ما لا تريده.



البرلمان هو الهيئة التشريعية العليا
في البلاد.

وهو يعمل أيضاً رقيباً على
المسرح، وعلى الأخلاق العامة
بصفة عامة.

كان هناك - ككل - ثلاثة عشر برلماناً في فرنسا، وكان لبرلمان باريس النفوذ الأقوى. وكان يمكن شراء المناصب في البرلمانات، وكانت وراثية. والمناصب العليا تمنح الحائزين عليها حق النبالة الذين أصروا على ما يسمى «بنالة الثوب» في معارضة «نبالة السيف».

كان البرلمانيون مجانين بالبروتوكول، إذ يُعدُّ الاحتفال بعودتهم في شهر نوفمبر بعد عودتهم من عطلة الصيف واحداً من مناظر الطقوس العظيمة خلال السنة.



ونتيجة لذلك أصبح البرلمان، صواباً أو خطأ، مركز المعارضة القانونية للملك المطلق، وكان في سنوات منتصف القرن في صراع دائم مع العرش. وكان قصر العدل - مركز برلمان باريس - على ما يقول سيمون سكيما «في واقع الأمر - في حد ذاته مدنية مصغرة».

مونتسكيو و روح القوانين

نُشر كتاب مونتسكيو «روح القوانين» لأول مرة عام ١٧٤٨ يضمنى احتراماً سياسياً على الفكرة التى تقول إن البرلمانات ينبغى أن تعمل على الحد من امتيازات التاج، كما يعتمد إلى نشر هذه الفكرة على نطاق واسع. وكان مونتسكيو نفسه رئيساً لبرلمان «بورجو».



وأصبح فى يوم وليلة من أكثر الكتب رواجاً، إذ طبعت منه اثنتى عشرة طبعة فى ستة أشهر، واختفى أعظم احتفال لكتاب «ألكسندر دليور» وهو كتاب موجز لمجموعة من التلخيصات عنوان «جنى مونتسكيو» مخصص للمناقشات الخلافية.

كان مونتسكيو يبحث عن الأسباب والمبررات التي جعلت المؤسسات السياسية على ما هي عليه؛ فشرع في عمل مسح للتنوع الهائل للنظم السياسية والاجتماعية على أساس مبدئين، الأول: اطراد الطبيعة البشرية ، والثاني: الاختلافات التي تحدثها البيئة والثقافة . وكانت دراسة مونتسكيو أول دراسة كلاسيكية عظيمة يمكن أن يقال إنها «أدب اجتماعي» غيرت من طبيعة المناقشات الفلسفية في موضوع السياسة.



القانون الطبيعى

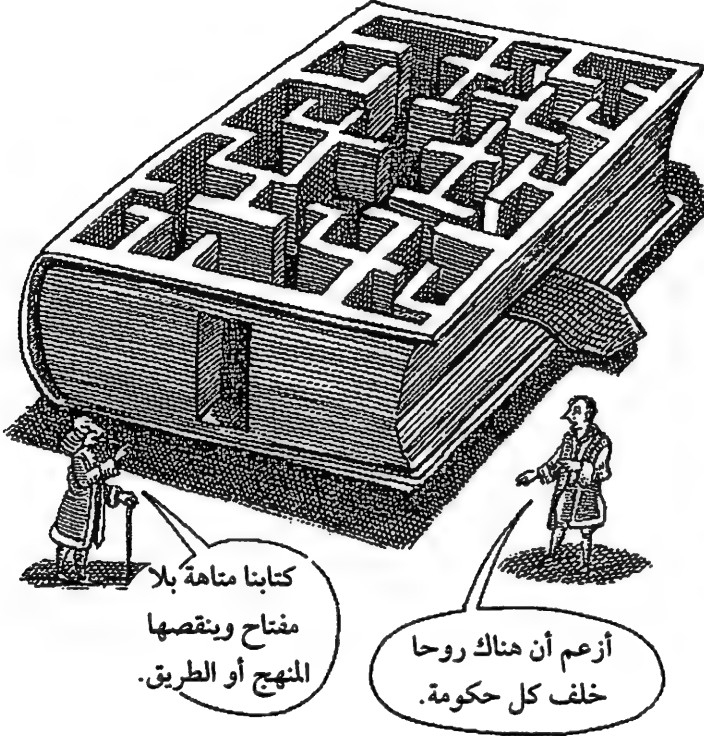
ونظر مونتسكيو مثل الكثير من معاصريه إلى الوراء إلى تراث قديم فى نظرية القانون الطبيعى، فقد اعتقد الروائيون من أمثال شيشرون (١٠٦ - ٤٣ ق. م) أنه واجب أخلاقى على الإنسان أن يفكر بطريقة تجاوز العادات والعرف، وأن يكتشف ما الذى ينبغى عليه عمله.



يتحدث كتاب عصر التنوير أحيانا عن الله خالق القانون الطبيعى، ومصدر سلطته: «لكنهم بالفعل يستمدون أصله وصفته الملزمة من طبيعة الإنسان، اتفاق الحكماء عبر العالم، وعبر التاريخ، شهادة العقل الإحساس الطبيعى للإنسان بالعدالة، وكما عبر عن ذلك ديدرو بطريقة ثورية، وإن ظلت اختبارية فى الموسوعة: الإرادة العامة التى لا تخطئ للبشر». (بطرس جاي)

التحفة المهمة

الثالث الأول من «روح القوانين» يعالج أشكال الحكومة وطبيعتها وحقوق الرعايا، ثم تحول الكتاب إلى تحليل تأثير المناخ والبيئة على السياسة والعادات الاجتماعية، ثم جاء الجزء الأخير من الكتاب مجموعة غير متألّفة من المناقشات - بين أشياء أخرى - عن الاقتصاد السياسي ، والسياسة فى فرنسا، والنظرية القانونية. لقد كان كتاب «روح القوانين» التحفة المهمة التنسيق فى القرن الثامن عشر.



خلف النظام الملكى يكمن «الشرف» الذى يعطى إحساسا بالمكانة والمسئولية، الذى تبرهن عليه النبالة، أما الروح التى تكمن خلف النظام الجمهورى فهى «الفضيلة» والإحساس بالوعى المدنى والانتماء وما يستلزمه من واجبات. أما الروح التى تكمن خلف نظام الاستبداد فهى «الخوف» وعندما تضعف أى روح من هذه الأرواح التى تدعم النظام فسوف تضعف الحكومة من تلقاء نفسها^(١).

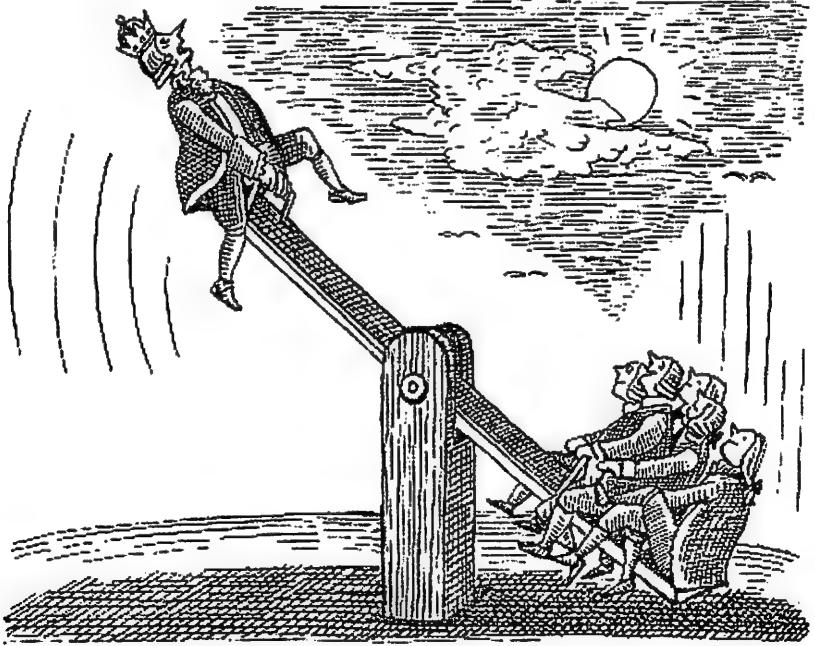
(١) كثيراً ما يقول مونتسكيو «المبدأ» الذى يركز عليه النظام الملكى، والمبدأ الذى يعتمد عليه الاستبداد... إلخ، بدلاً من كلمة «الروح». (المترجم)

الحرية الفردية وحكم القانون

اتفق كل فلاسفة التنوير على الفلسفة
النيبلة والإنسانية التي يجسدها كتاب «روح
القوانين»، وكان إيمان مونتسكيو بحرية الفرد
أشد وضوحاً في معالجته للقضايا المرتبطة
بالقانون والعدالة.



كنتُ أعتقد باستمرار أن الاستبداد نظام سيئ وينبغي شكمه، ولقد استحسنتُ بصفة
خاصة ما رأيت أن الرعايا البريطانيين يتمتعون به من حرية، وهي التي أعزوها إلى
الفصل بين السلطات داخل النظام السياسي البريطاني.



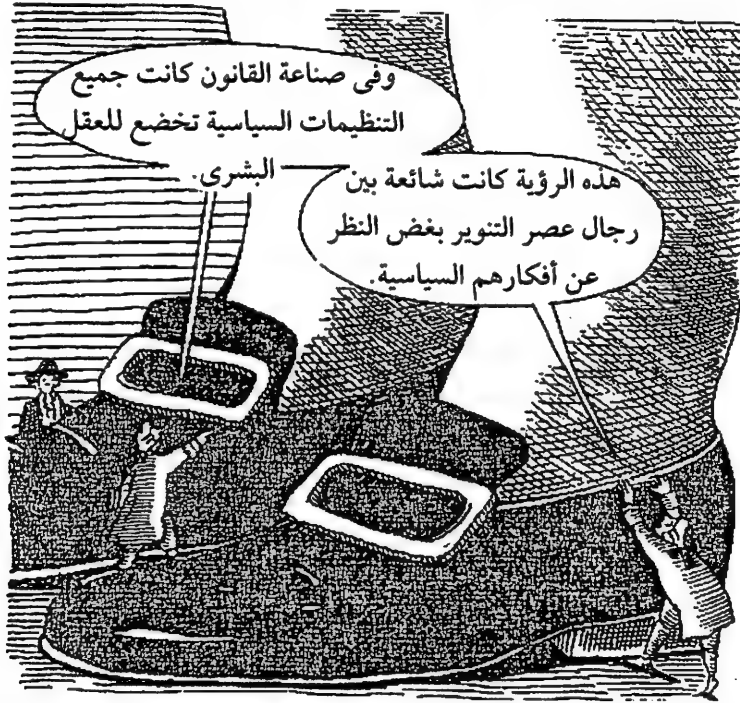
المملك في رأى مونتسكيو هو السلطة التنفيذية الوحيدة، في حين أن البرلمان وحده هو
الذى يشرع القوانين، أما السلطة القضائية فتعمل - مستقلة - بمقتضى هذه القوانين.

والواقع أن كتاب مونتسكيو كان وجهة نظر مبسطة جدا عن السياسة البريطانية، وكان قد كتب في وقت التغير في بريطانيا. ولقد كان المفكرون الإنجليز الرواد يميلون إلى النزعة المحافظة، فلم تكن ثمة حاجة إلى الأيديولوجيات الراديكالية أو المتطرفة بعد تعريف جون لوك للبرالية السياسية، والبرالية الاقتصادية. والواقع أن الراديكالية المبكرة في إنجلترا قد تحولت إلى ضدها عن طريق المستعمرات الأمريكية. ولقد أثر كتاب مونتسكيو - يقينا - عندئذ في النظريات السياسية في اسكتلنده في عصر التنوير.



المستبد المستنير

الكتابات السياسية في عصر التنوير موجهة أساساً ضد ما يسمى عادة بمصطلح فضفاض هو «الاستبداد» الذي يشمل العديد من الخطايا، وهو يضم أى استخدام تعسفى للسلطة من جانب الملك، لكنه يشير كذلك إلى الامتيازات التى تدعيها الطبقة الأرستقراطية والكنيسة. بمقدار ما تقوم هذه الادعاءات بيساطة على أساس التراث أو الأحداث السابقة أو السلطة، ضد هذه البقايا اللاعقلية أو المخلفات رفع عصر التنوير مثلاً أعلى يضع كل عضو فى الأمة - حتى الملك - تحت طائلة القانون.



ولقد أغرت حجج مونتسكيو بشكل النظام الملكى المقيد عدداً كبيراً من المفكرين فى منتصف القرن الثامن عشر، من بينهم الفزوقراطيون ^(١) الذين يدافعون عن حرية التجارة والبرالية التجارية فى ظل النظام القديم، والذين ظلوا من أنصار النظام الملكى.

(١) الفزوقراطيون أو الطبيعيون: جماعة من علماء الاقتصاد ظهرت فى فرنسا فى منتصف القرن الثامن عشر وزعمت أن القيمة مستمدة من الطبيعة - ومن هنا اسمها - دعوا إلى حرية التجارة، كان فرانسوا كيناي مؤسسها وتورجو من أبرز دعائها . (المترجم)

ثم بعد ذلك عندما تحركت المشاعر الديمقراطية والجمهورية عند جيل جديد من الثوريين استطاع هؤلاء أن يستمدوا لغة للرؤية من كتابات روسو، إلا أن معظم الشخصيات الرئيسية في عصر التنوير كانوا من المصحلين ولم يكونوا أبداً من الراديكاليين، ولقد بدا لهم أنه من الطبيعي أن يتجهوا بخطابهم وحججهم إلى أولئك الذين يمارسون السلطة.



العديد من فلاسفة التنوير - ومنهم فولتير وديدرو وهلفتيوس - سحرتهم لفترة من الزمن فكرة «المستبد المستنير»، أو ربما قلنا «الاستبداد المتنور»؛ لأن الاستبداد المتنور ليس نظرية سياسية، ولا حتى عند فلاسفة التنوير، لكنها فرصة مهمة في حياة الحاكم. ولقد كان من الناحية السياسية ثانوياً في فرنسا ولهذا فقد انجذب بفكرتهم لإصلاح الملوك إلى فردريك ملك بروسيا، وكاثرين ملكة روسيا اللذين مالا إلى التسامح، وأظهرا اهتماماً بالإصلاح العقلي للحياة السياسية، والقانونية، والاقتصادية.

فردريك الثانى: ملك بروسيا

فردريك الثانى (الأكبر) ملك بروسيا (١٧١٢ - ١٧٨٦) داعب خياله عدد من فلاسفة التنوير، فى عام ١٧٣٦ وكان لا يزال الأمير على عرش بروسيا كتب هجوما على ما كان يظن بصفة عامة أنه رواقية الفلسفة السياسية عند ماكيافيلى، وبرهن على اهتمامه بالفن، والموسيقى، والشعر، وكان فردريك قد بدأ المراسلة مع فولتير، ولقد كان فولتير مهتما بأن يعرف أصدقاؤه أن فردريك هو الذى يادر بالمراسلة.



فى صيف عام ١٧٥٠ أدار فولتير ظهره لباريس (التى لن يعود لزيارتها إلا بعد عودته المظفرة فى السنة الأخيرة من حياته) وبدأ ثلاث سنوات من الإقامة فى بلاط الملك فردريك الأكبر ، ولقد تحرر من الوهم عندما اكتشف أن الملك فردريك لم يقدر كثيرا أفكاره السياسية والفلسفية، والواقع أنه لم تكن هناك خدمة تسدى إليه أفضل من إسعاد فردريك، وتصحيح أشعاره الفرنسية وامتدادها.

كاثرين العظمى: ملكة روسيا

كاثرين الثانية (١٧٢٩ - ١٧٩٦) التي اعتلت عرش روسيا عام ١٧٦٢ كانت لها آراء أشد رحابة؛ فقد أبدت تصميمًا لإحداث تغييرات كثيرة مطلوبة في البنى الروسية الاجتماعية والسياسية، وكانت قد تأثرت بمونتسكيو، وبالمفكر القانوني الإيطالي سيزار بيكاريا (١٧٣٨ - ١٧٩٤) واهتمت اهتمامًا عميقًا بما تم إنجازها في «الموسوعة». وفي منتصف الستينيات (١٧٦٠) كان ديدرو على وشك الانتهاء من الموسوعة، وكان قد تلقى عددًا قليلًا من المميزات والشرف كما مرَّ بحقبة مظلمة من الشك العميق.



وبعد ذلك ببضع سنين عمل ديدرو ملحقًا ثقافيًا غير رسمي عند الإمبراطورة كاثرين، وفي عام ١٧٧٣، أغرته الإمبراطورة بأن يقوم برحلة طويلة إلى سان بطرسبرج، وهي الرحلة الوحيدة ذات المغزى التي قام بها ديدرو خارج فرنسا.

صوّر ديدرو وضعه فى روسيا على أنه وضع رجل أرسل عبر أوروبا لإرشاد الملكة، والقيام بدور سقراط مع ألقبيادس مع الملكة كاترين، لقد كان تحقيق تخيلاته أشبه بالحلم؛ فقد اعتقد - مثل غيره من مفكرى التنوير - أن التقدم الاجتماعى لا بد من أن يبدأ من أعلى، وأن على المصلحين أن يظفروا برضا الملك « فإلى من ينبغى أن يقدم الفيلسوف نفسه بقوة.. » وما كتبه فى «صفحات ضد الطاغية» عام ١٧٦٩ «ما لم يكن إلى السيد؟»



كانت مجرد شائعات تلك التى تقول إن الإمبراطورة كانت تضع طاولة بينها وبين ديدرو لتحمى نفسها من تلميحاته النشطة.

إرشادات للإمبراطورة

سعى ديدرو إلى أن يضرم من جديد الطموحات التي استحوذت على هذه المرأة الهائلة العظيمة ، لكنها كانت من الذكاء والثقة بالنفس حتى أنها لم تتأثر بنصائحه. ولقد كتب ديدرو، فيما بعد، تفصيل مناقشاتهما معا.



يدو لى أن مصدر كل سلطة سياسية ومدنية لا يمكن أن يكون سوى رضا الأمة.. فليست هناك سيادة حقيقية إلا سيادة الأمة، وليس ثمة مشرع حقيقى سوى الشعب... وسوف تكون القوانين عقيمة لا فائدة منها إذا كان هناك عضو واحد فى المجتمع له الحصانة فى انتهاكها.. الخط الأول فى التصور السليم للقانون هو أنه يتبغى أن يكون ملزما للسيادة.

الكاهن.. والفيلسوف

الكاهن الذى يعتبر مذهبه الفلسفى نسيجا من
المستحيلات يميل سرا إلى تدعيم الجهل، فالعقل
هو عدو الإيمان.. والإيمان هو الأساس فى مركز
القسيس، ومستقبله ومكانته.



«يتحدث الفيلسوف حديثاً سيئاً عن القسيس أو
الكاهن، ويتحدث الأخير عن الفيلسوف حديثاً
سيئاً أيضاً. غير أن الفيلسوف لم يحدث أبداً أن قتل
قسا فى حين أن القسيس قتل عدداً كبيراً من
الفلاسفة.. ولم يقتل الفيلسوف أبداً أحداً من
الملوك بينما قتل القسيس عداً كبيراً منهم..». ديدرو

الفلاسفة لن يشكلوا أبدا فرقة دينية

«علينا أن لا نخشى أن يضر أى رأى فلسفى بديانة الدولة، على الرغم من أن براهيتنا تصطدم مباشرة بأسرارنا، فلا شيء من حيث الغرض لأن الأسرار لا يوليها الفلاسفة المسيحيون احتراما أقل، وهم يعرفون جيدا أن موضوعات العقل وموضوعات الإيمان من طبيعتين مختلفتين أتم الاختلاف.

لن يشكل الفلاسفة أبداً فرقة دينية؛ وسبب ذلك هو أن كتاباتهم لا تتجه إلى الناس العاديين بما أنهم هم أنفسهم يخلون من الحماس.

لو أننا قسمنا الجنس البشرى عشرين قسما، فسوف نجد أن ١٩ قسما منها يشتملون على أشخاص يقومون بالعمل اليدوى، ولا يعرفون أبدا أن هناك شخصا يسمى «مستر لوك»، وفي القسم العشرين المتبقى سنجد عدداً قليلاً من القراء، ومن بين هؤلاء نجد نسبة عشرين شخصا يسلمون أنفسهم بالقصص الرومانسية إلى واحد يدرس الفلسفة، فالقسم المفكر من الجنس البشرى محصور فى نطاق عدد ضئيل جدا وهؤلاء لن يزعجوا السلام والطمأنينة فى العالم

لا موتنى، ولا لوك ولا بابل، أو إسبنوزا أو هوبز أو لورد شافتسبرى، ولا كولينز، أو تولاند - أشعلوا نيران الفتنة والشقاق فى بلادهم، فقد كان ذلك بصفة عامة من اختصاص رجال الدين الذين يتوقون فى البداية لرئاسة أحزاب دينية، لكن ماذا أقول؟ إن جميع أعمال الفلاسفة المحدثين إذا ما وضعت معا لن تثير على الإطلاق تلك الفتنة التى أثارها الجدل بين الفرنسييسكان حول قلنسوة الراهب وأحكام ثوبه...».

«عن مستر لوك» بقلم فولتير فى «رسائل فلسفية» من إنجلترا (١٧٣٣).

كتب فردريك الأكبر إلى فولتير يقول:

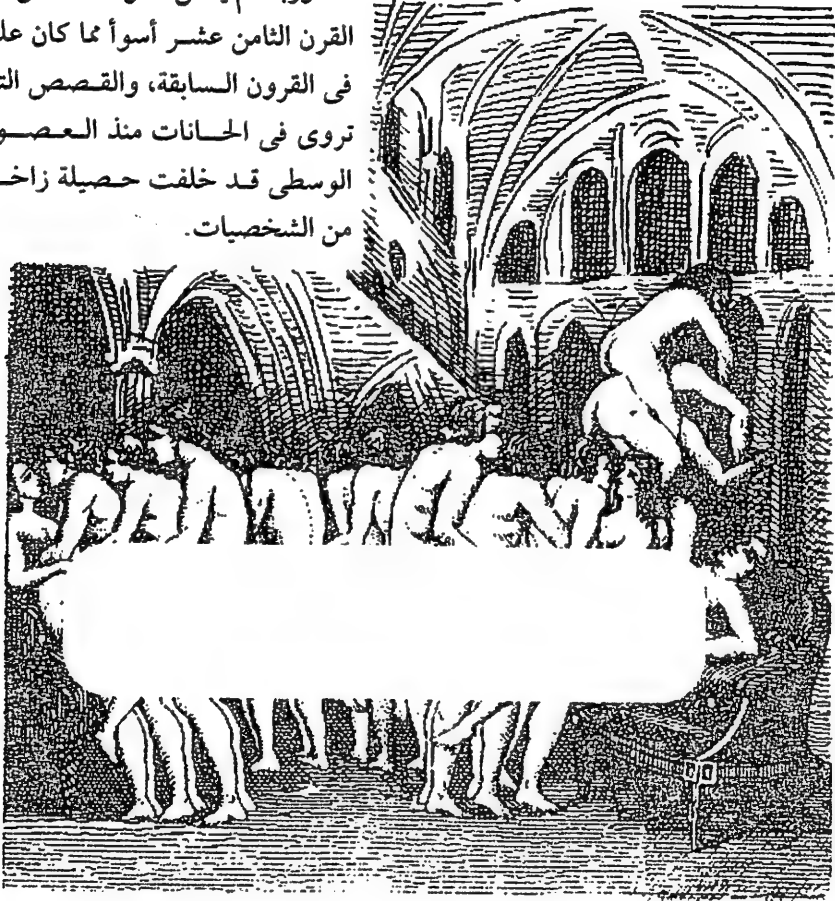
«مبنى الخرافة بدأت أسسه تترنح وتميل إلى السقوط، وسوف نكتب الأمم فى تاريخها أن فولتير كان المثير والمحرض على الثورة التى نشبت فى عقول الناس إبان القرن الثامن عشر ...».



الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا

الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا أصابها مرض خطير، فقساوسة الأبرشيات يعيشون فى فقر مدقع، يؤدون عملهم دون مساعدة من رؤسائهم، فى حين أن الأساقفة وهم فى العادة من أسر نبيلة يعيشون فى قصور فخمة، والكثيرون منهم أهملوا واجباتهم وتركوا أحراراً فى اعتناق معتقدات أرثوذكسية.

وربما لم يكن سلوك الكاهن فى القرن الثامن عشر أسوأ مما كان عليه فى القرون السابقة، والقصص التى تروى فى الحانات منذ العصور الوسطى قد خلفت حصيلة زاهرة من الشخصيات.



فالرهبان الفاسقون الماجنون ، والراهبات الشهوانيات، والأساقفة العاجزون جنسياً، مصابون بأمراض جنسية، ورؤساء الأديرة يمارسن السحاق ويستسلمن «لجنون الرحم». وكان الكاهن هدفاً سهلاً للوشاية، وكثيراً ما ظهر فى الأدب المكشوف الذى انتشر فى عصر التنوير.

عصر التنوير بوصفه عصر الإيمان

الهجمات المتكررة على سلطة الكنيسة الكاثوليكية بقيادة فلاسفة التنوير يمكن أن تعطى الانطباع بأنه كان هناك موقف قوى، بصفة خاصة، ومزاج مكافح ومناضل لإبان عصر التنوير، والواقع أن الأمم المختلفة في أوروبا، في القرن الثامن عشر، رأت أن مؤسسات الدولة تنظر بالسلطة والنفوذ على حساب الكنائس القائمة سواء أكانت كاثوليكية أم بروتستانية.

وسوف يكون من الخطأ أن نرسم صورة للقرن الثامن عشر على أنه القرن الذي كان فيه الإيمان في حالة دفاع مستمر ضد المسيرة المتقدمة الظافرة للعقل. لقد شهد عصر التنوير أيضا تطور حركات دينية قوية.



ذلك كله يشدد على التقوى الشخصية
ويجعل الشعور الديني أو «الحماس»
الديني مركزيا بالنسبة لعقيدتهم.

- في إنجلترا بداية الكنيسة الميثودية (١).
- في المستعمرات الأمريكية الشمالية «اليقظة الكبرى».
- ظهور طائفة الحسدية السرية (٢) بين يهود بولندا.
- الولايات البروتستانتية الألمانية، وحركة التقوى.

(١) الميثودية Methodism : طائفة بروتستانتية أسسها جون وزلي J. wesley (١٧٠٣ - ١٧٩١) عام ١٧٤٠ في محاولة لإحياء كنيسة إنجلترا وهي تؤكد على الأخلاق الفردية والمسئولية فردية وجماعية . (المترجم)

(٢) الحسدية أو الحسدية Hasidism: هي مذهب في الباطنية اليهودية يحاول العودة إلى النقاء الأول وعدم التأثر بديانات الأغراب وعاداتهم . (المترجم)

الضرورة الاجتماعية للدين

هناك حكاية ظريفة - من المحتمل أنها منتحلة - انتشرت انتشارا واسعا تقول إن قولتير كان قد دعا مجموعة من فلاسفة التنوير إلى منزله في فرنى للسمر. وكانت هذه المجموعة تتحدث بحرية وبصراحة عن الإلحاد، وفجأة طلب قولتير من الجميع الصمت كما طلب من الخدم الخروج من الغرفة، ثم برر هذا الحذر فيما بعد بسؤال: «أتريدون أن تقطع حناجركم الليلة؟»



وضع الخوف من جهنم

على الرغم من أن فولتير وكثيرين غيره من فلاسفة التنوير شكوا في الحقائق التي يدافع عنها اللاهوتيون، فإنهم رغم ذلك شعروا بأن الدين من المحتمل أن تكون له ضرورة اجتماعية، فالخوف من جهنم والعقاب الأزلّي لا يزال يعمل كأداة مؤثرة في الضبط الاجتماعي، كما لاحظ إدوارد جيبون (١٧٣٧ - ١٧٩٤) في كتابه: «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦^(١).

النماذج المختلفة من العبادة المنتشرة في العالم الروماني اعتبرها الشعب كلها صحيحة على قدم المساواة، واعتبرها الفلاسفة كلها زائفة، واعتبرها الحكام كلها مفيدة على قدم المساواة.

لا يمكن لجمعية الملاحدة أن تعمل إلا إذا كانت مستعمرة صغيرة من الفلاسفة...
ربما لا يوجد علاج آخر لمرض التعصب سوى أن نقوم بتنوير الناس أنفسهم.



(١) ترجمه إلى العربية لويس إسكندر وراجعه أحمد نجيب هاشم وأصدرته الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر عام ١٩٦٩. (المترجم)

الكنيسة، والدولة، والحقوق المدنية

كان التسامح الديني يصعب على العديد من الحكام إنجازه من الناحية الرسمية؛ فالغالبية العظمى من الولايات يحكمها ملوك يستمدون مشروعية حكمهم - على الأقل في جانب منه - من ولائهم لكنيسة معينة. فملك فرنسا الذي كان رعاياه يشكلون عددا كبيرا من البروتستانت، يقسمون في أثناء حفل التتويج أن يستأصلوا الهرطقة البروتستانتية، وملك إنجلترا كان الرأس الديني للكنيسة، وملك بروسيا كان الأسقفى الأعلى في الكنيسة اللوثرية.



أصدر الإمبراطور جوزيف الثانى فى عام ١٧٨٢ منشور التسامح الذى أعطى ليهود النمسا عددا من الحريات المدنية المهمة.

- (١) ماريا تيريزا (١٧١٧ - ١٧٨٠): ارشيدوفه النمسا وملحه هينغريا وبوهيميا، زوجه الإمبراطور فرنسيس الأول، والدة ماري أنطوانيت، ورثت عرش أستراليا بعد وفاة أبيها. (المترجم)
- (٢) جوزيف الثانى (١٧٤١ - ١٧٩٠): ملك ألمانيا (١٧٦٤ - ١٧٩٠) ورأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٧٦٥ - ١٧٩٠) ابن فرنسيس الأول وماريا تيريزا، يعتبر أحد الطغاة المستبشرين فى القرن الثامن عشر: ألغى القنانة، وأصلح نظام الضرائب، ونشر التعليم، ورفع القيود عن التجارة. (المترجم)

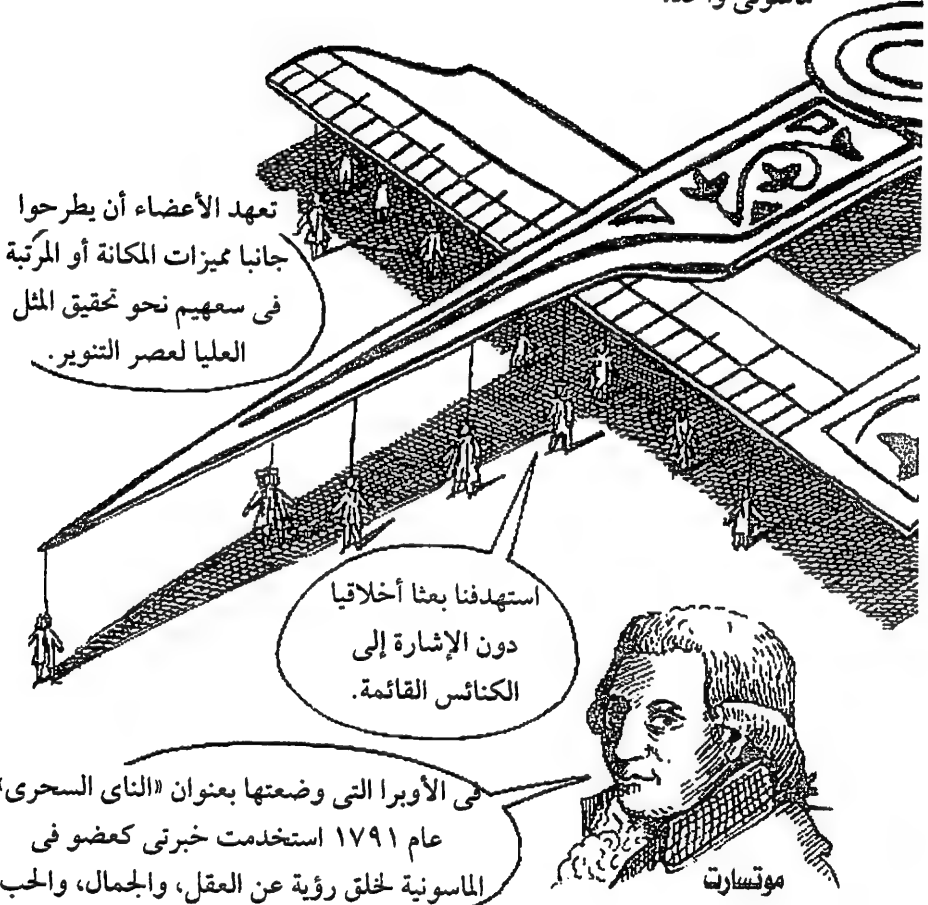
اعتلى فردريك الثانى العرش فى عام ١٧٤٠ السنة نفسها التى اعتلت فيها ماريا تريزا العرش، وعلى الرغم من أن فردريك كان رسميا رأس الكنيسة اللوثرية، فإنه شخصيا كان رجلا ماسونيا غير مؤمن، ولقد حدد دوره بأنه الرابطة بين الجماعات الدينية المختلفة فى بروسيا، إلى الحد الذى جعله يفرض غرامات على بناء كاتدرائيات كاثوليكية جديدة فى العاصمة برلين عام ١٧٤٧. ولقد منعت بحوث الهرطقة، والمناظرات الدينية العامة، وفى عام ١٧٥٠ منح اليهود فى بروسيا حقوقا جديدة.



موسى مندلسون (١٧٢٨ - ١٧٨٦) مفكر وكاتب يهودى، نشأ فى بيئة فقيرة لكنه أصبح شخصية لامعة فى عصر التنوير فى ألمانيا، وكان هو نفسه ثورة أثرت فى المجتمع المسيحى فى برلين وجعلته يراجع موقفه من اليهود، لقد أمدَّ مندلسون صديقه كاتب الدراما جوتتهولد لسنج (١٧٢٩ - ١٧٨١) بنموذج لمسرحيته «ناتان الحكيم».

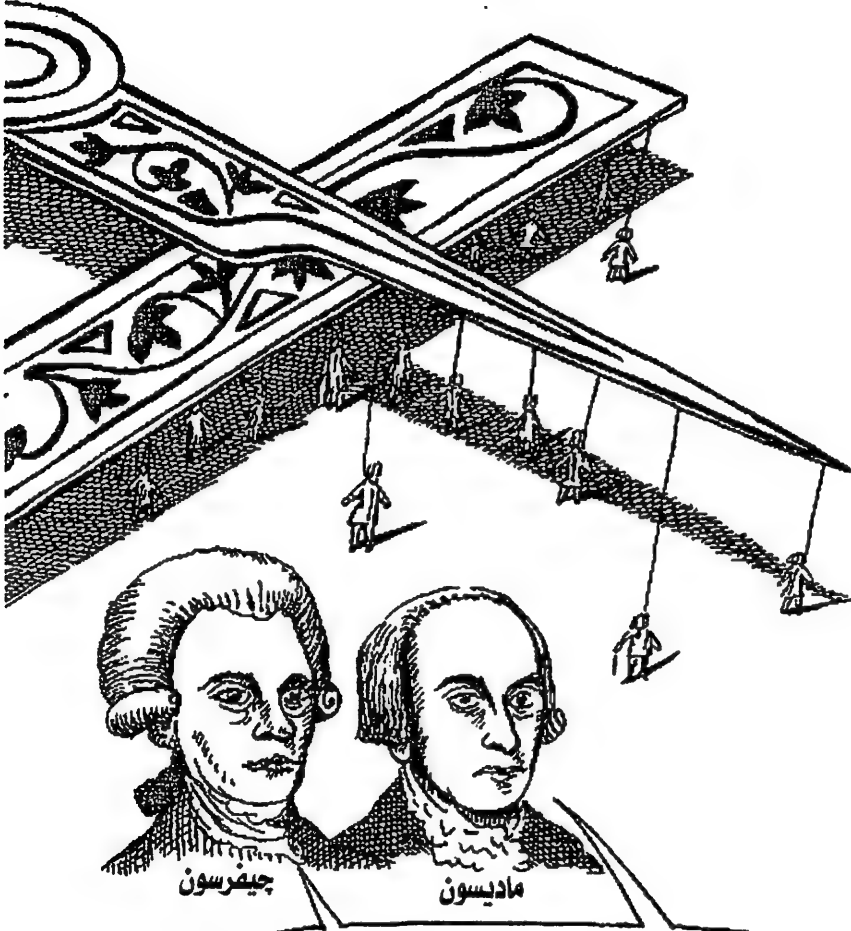
الماسونية

في عام ١٧١٧ شهدت لندن إنشاء أول محفل ماسوني في إنجلترا. ولقد حقق الماسونيون أهمية ملحوظة خلال القرن الثامن عشر، ويرجع جانب من نجاحهم إلى اشتراك الأرستقراطيين، بل أمراء من أمثال فردريك الكبير ملك بروسيا، وفرانسيس الأول ملك النمسا، وكان بنيامين فرانكلين وفولتير - لبعض الوقت - أعضاء في محفل ماسوني واحد.



كانت الماسونية خليطاً من الشعائر الصوفية السحرية والديوية، والمثل العليا الكلية مثل: الإخاء والمساواة، والتسامح الديني، والعقل، إلا أن الماسونيين أدبنوا من البابا بندكت الرابع عشر عام ١٧٥١، كما كانت موضع ريبة سياسية في الولايات الألمانية.

عندما استقر آباء الثورة الأمريكية - ومعظمهم من الماسونيين - على مسودة الدستور الأمريكية للولايات المتحدة لم يذكروا الله بكلمة واحدة، فتوماس جيفرسون (١٧٤٣ - ١٨٢٦)، وجيمس ماديسون (١٧٥١ - ١٨٣٦) سعيًا بصفة خاصة إلى استبعاد الدين من الحياة العامة والسياسية.



لا تمتد السلطات المشروعة للحكومة إلا إلى تلك الأعمال التي تؤذي الآخرين فحسب، لكن لا يؤذيني في شيء أن يقول جاري إن هناك عشرين إلها، أو يقول لا يوجد إله قط، فلا هذه ولا تلك تسرق جيبى أو تكسر ساقى.

صانع الساعات العظيم

يفترب عصر التنوير شيئًا فشيئًا من التوحيد بين الله وقوانين الطبيعة، فهو انتظام الطبيعة الذي كشفت عنه علوم نيوتن، فهي التي زودتنا بأعظم تجل يوثق به للالوهية، فالكون كله بجماله، واتساعه، وتصميمه المحكم، يشهد بحضور الإله، ومهارته الفائقة فهو مثل الساعاتي العظيم، خلق العالم، ووجهه قوانين ثابتة لا تتغير، لكي تسيّرهُ ثم تركه يسير.

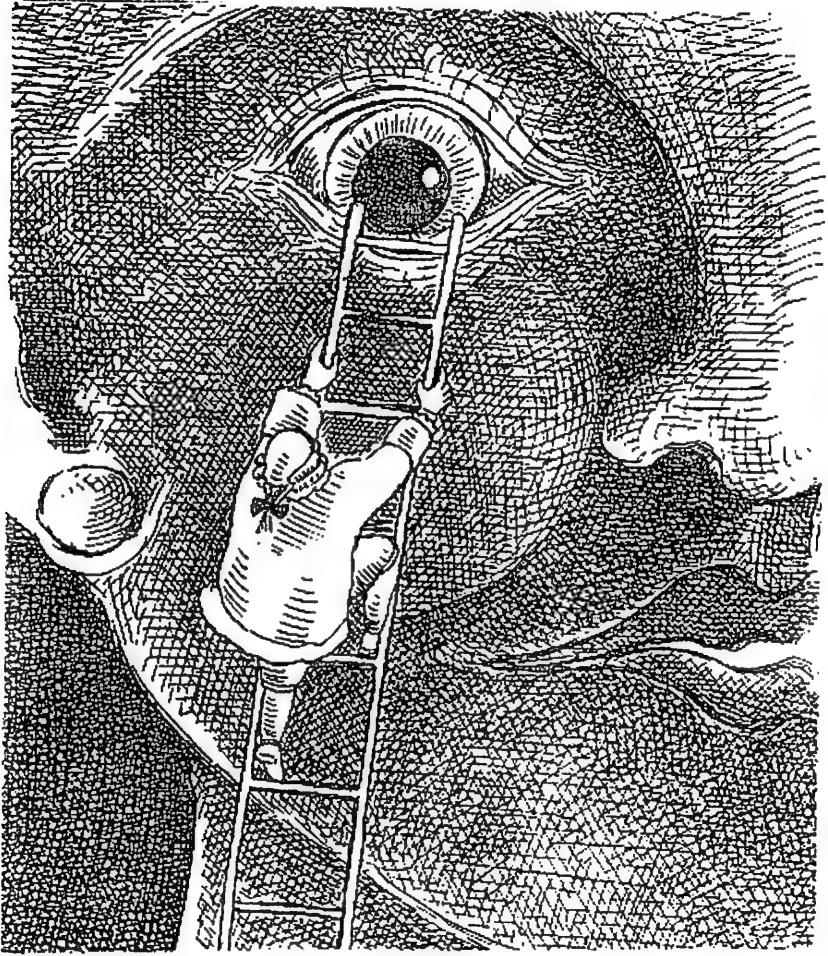


مذهب الشك عند ديفيد هيوم

لقد كانت المشكلة هي أن التراث المسيحي يبحث عن برهان على ألوهية المسيح عن طريق المعجزات التي شهدت بها الأناجيل، فالمعجزات مثل قيامة ألعازر بعد موته، أو فكرة القيامة (أو البعث) نفسها، هي كلها تتورط في طرح قوانين الطبيعة نفسها التي كان الكثيرون في عصر التنوير شغوفين في التوحيد بينها وبين الله. ولقد ذهب ديفيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦) - الشخصية الرئيسية في عصر التنوير في أسكتلندا - أبعد من معظم مفكرى ذلك العصر.



كان ديفيد هيوم صانع معظم الهجمات المروعة ضد عقلانية الإيمان بالله، ربما أكثر من أى فيلسوف آخر، وكان عدد من الفلاسفة قبل هيوم قد اتهموا بالإلحاد، أما هيوم فقد كان أول فيلسوف عظيم يعترف بذلك، ولقد حاول أصدقاؤه إقناعه بعدم نشر كتابه الأول: «محاورات فى الدين الطبيعى»^(١) (عام ١٧٧٩) إبان حياته.



لم تكن لى أى حجة مع فكرة الخالق، إلا أن أى عبارة تدعى وصف خصائصه وصفاته لابد من أن تكون - قطعاً - عبارة غير منطقية؛ فلا يمكن الدفاع عن الإيمان بطريقة عقلية على الإطلاق.

(١) ترجمه الدكتور محمد فتحى الشنيطى، ونشرته مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٥٦ . (الترجم)

رسالة عن الطبيعة البشرية

اكتملت رسالة هيوم عن «الطبيعة البشرية» (١٧٣٩ - ١٧٤٠) عندما بلغ السادسة والعشرين من عمره، وكان عنوانها الفرعى يصفها بأنها: «محاولة لإدخال منهج الاستدلال التجريبي فى موضوعات أخلاقية»، فهى تمد وتطبق السيكولوجيا التجريبية التى كان جون لوك رائدا لها.



لقد شغى الناس الآن من توقعهم للافتراضات والمذاهب فى فلسفة الطبيعة، وسوف لن يصيخوا السمع لأية حجة أخرى سوى الحجة المستمدة من الملاحظة والمشاهدة. ولقد آن الأوان أن يجربوا إصلاحا مشابها بالنسبة لجميع المنازعات الأخلاقية، ويرفضوا أى مذهب للأخلاق، مهما كان خافيا أو بارعا، لا يتأسس على الوقائع والمشاهدات.

كان مذهب الشك عند هيوم متطرفا لدرجة أنه هدد بتقويض المفهوم نفسه الذى يستند إليه العلم نفسه ؛ وأعنى به مفهوم: السببية. فإذا أخذنا مثال كرة البلياردو التى يقذف بها على طاولة البلياردو، وهو يشير إلى أننا نستطيع تمييز السبب عن النتيجة، لكننا لا نستطيع أن نختبر «السببية».

فنحن نشاهد حركة كرة البلياردو الأولى (أو السبب إن شئت) وهى تندفع بأقصى سرعة نحو الكرة الثانية، نحن نشاهد حركة (أو نتيجة) الكرة الثانية بعد أن تكون قد

صدمت، لكننا لا نستطيع أن نعزل أو نختبر السببية نفسها.

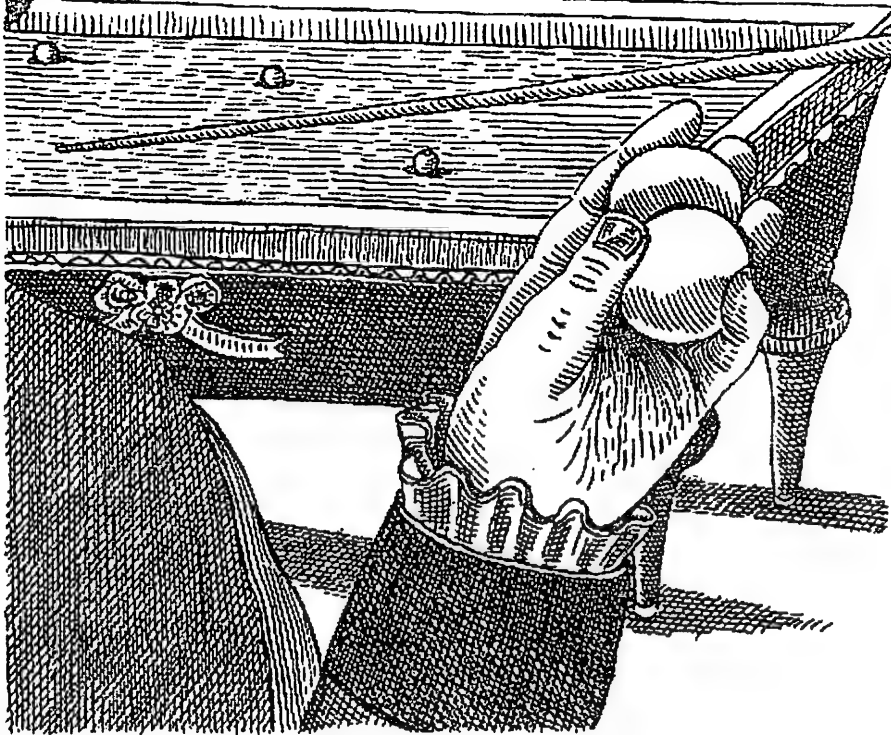
ويبدو العلم مرتكزا على أساس مهتز مثل أساس الدين.



مذهب الشك عند هيوم ليس فقط تهديدا لوحدة العالم الخارجى، بل عالم التجربة ذاتها، و«الذات» تنجزاً شذرات فى تأملات هيوم المرعبة، فهى تعرض نفسها لحزمة من الإدراكات الحسية، وترتبط كل تجربة جزئية بلحظة جزئية من الزمان، ولحظة بعد ذلك تخلق انطبعا مختلفا ، ولا شىء يربط الإحساسين معا إلا العادة، «فالذات» ليست سوى فكرة مختلفة.

أين أنا، أو ماذا أكون؟ من أى الأسباب أستمّد وجودى، وإلى أى الحالات سوف أعود؟.. أنا مرتبك مع كل هذه الأسئلة وبدأت أتخيل نفسى فى حالة يرثى لها، يملأنى ظلام عميق، محروم تماما من أى عضو وأية ملكة.

الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) يعلق على ذلك بقوله فى الأجزاء المتأخرة من الرسالة نسى هيوم كل ما يتعلق بشكوكه الأساسية ، وكتب مثل كثيرين من فلاسفة الأخلاق المستنيرين فى عصره، مطبقا على شكوكه العلاج الذى أوصى به، أعنى «الإهمال وعدم الاهتمام».



موسيقى عصر التنوير

مع ازدياد الحفلات الموسيقية العامة، وازدهار دور الأوبرا، قدّمت هذه بديلا عن الرعاية التقليدية التي كان يقوم بها البلاط والكنيسة. وكان للموسيقين الإيطاليين من أمثال أنطونيو فيفالدي (١٦٧٨ - ١٧٤١) ^(١) ودمينيكو سكارلاتي (١٦٨٥ - ١٧٥٧) ^(٢) القيادة المبكرة. كان فيفالدي غزير الإنتاج بالنسبة للموسيقى الدينية والأوبرا بما في ذلك أكثر من ٤٥٠ كونشرتو، أما سكارلاتي الذي كتب أكثر من ٥٠٠ سوناتا من أجل لوحة المفاتيح فقد كان ابن ألسندرو سكارلاتي (١٦٦٠ - ١٧٢٥) ^(٣) مؤسس



-
- (١) فيفالدي (أنطونيو) (١٦٧٨ - ١٧٤١): مؤلف موسيقى وعازف كمان إيطالي درس الموسيقى على أبيه، والتحق بسلك الكهنوت عام ١٧٠٣. كان غزير الإنتاج إلى حد بعيد فقد وُضع نحو من خمسين أوبرا، وألف أربعمئة كونشرتو أشهرها أربع تعرف باسم «القصور الأربعة». (المترجم)
- (٢) سكارلاتي، ألسندرو (١٦٦٠ - ١٧٧٥): مؤلف موسيقى إيطالي يعتبر رائد الأوبرا الحديثة ومؤسسها، وأحد عمالقة الموسيقى العالمية. (المترجم)
- (٣) ألسندرو سكارلاتي (١٦٦٠ - ١٧٢٥) مؤلف موسيقى إيطالي يعتبر رائد الأوبرا الحديثة ومؤسسها وأحد عمالقة الموسيقى العالمية وضع ١٥٠ أوبرا وعددا من الألحان الدينية. (المترجم)

مدرسة نابليون في الأوبرا. وفي عام ١٧٣٥ تقاعد جيوفاني باتستا برجوليزي (١٧١٠ - ١٧٣٦)^(١) الذي عرف أنه سرعان ما سيموت واعتزل في دير ليكتب «الأم الثكلى Stabat Mater..» وهي قطعة حساسة من الموسيقى الدينية جعلته شهيراً.. وفي عام ١٧٥٢ مثلت له أوبرا كوميدية هي «السيدة - الخادمة» التي أشعلت في باريس نيران المعركة المعروفة باسم «حرب المهرجين» بين المؤيدين للجوانب التي تستحق الاحترام في الأوبرا الإيطالية الجديدة وأنصار الأسلوب الفرنسي الكلاسيكي في تراث جان - بابتست لولي (١٦٣٢ - ١٦٨٧)^(٢)، الذي كان مثله الأساسى جان - فيلب رامو (١٦٣٣ - ١٧٦٤). ولقد اشترك الموسوعيون في هذه الجلبة فروسو الذي كتب معظم المقالات الموسيقية للموسوعة، كان أيضاً مؤلفاً لبعض الأوبرات الإيطالية الناجحة مثل «عراف القرية»، وكان دفاع روسو عن المذهب الطبيعي في الأوبرا مع الموسيقى التي تخدم العمل الدرامى - هو الذي طوره كريستوف جلوك (١٧١٤ - ١٧٨٧) الذي عمل في باريس وقيينا.

وكان كثير من الأعمال بطبيعتها دينية مثل «آلام المسيح وفق إنجيل متى» (عام ١٧٢٩) ل. ج. س. باخ (١٦٨٥ - ١٧٥٠)^(٣) إلا أن باخ كتب أيضاً موسيقى دنيوية مثل «كونشرتو براندنبرج عام» (١٧٢١) أصبح أبناؤه C. P. E. باخ و ج. س. باخ من أهم الموسيقيين في القرن الثامن عشر.

(١) برجوليزي (جيوفاني باتستا) (١٧١٠-١٧٣٦) : مؤلف موسيقى إيطالي أصيب بالسل فمات في السادسة والعشرين من عمره. وضع عددًا من الألحان الكنسية ولكن شهرته تقوم على أعماله في حقل الأوبرا. (المترجم)

(٢) مؤلف موسيقى وعازف إيطالي الأصل أقام بفرنسا وأشرف على تكوين أوركسترا يضم أربعة وعشرين عازفاً للألات الوترية. (المترجم)

(٣) يوهان سباستيان باخ (١٦٨٥ - ١٧٥٠): يختم عصر الباروك في عالم الموسيقى، كتب الكثير من المطبوعات الموسيقية الدينية مثل: «آلام السيد المسيح وفق إنجيل القديس متى» و«موسيقى القداس» وغيرها. (المترجم)

فردرش هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) ^(١) وصل إلى إنجلترا عام ١٧١٠ فى السنة التى تأسست فيها دار الأوبرا فى كوفنت جاردن فى لندن، وكان هيندل قد استقر وضعه كموسيقار ألف خمسين أوبرا من الأسلوب الإيطالى، كما كتب أيضا عشرين من الأوراتوريو Oratorios ^(٢) وكان منها المسيح المنتظر التى مثلت لأول مرة فى دبلن عام ١٧٤٢ وكانت من أشهر أعماله، كما كتب موسيقى للاحتفالات الملكية، وسخر چون جاى (١٦٨٥ - ١٧٣٢) ^(٣) من موضة الأوبرا الإيطالية فى مسرحيته «أوبرا الشحاذ» عام ١٧٢٨ التى جسدت أغانى الشارع الشعبية فى ذلك الوقت.

ظل فرانز جوزيف هايدن (١٧٣٢ - ١٨٠٩) ^(٤) على مدى ثلاثين عاما يستخدمه الأمير إيسترهازي كتب فيها ١٠٤ سيمفونيات، و ٥٢ سوناتا للبيانو وأوبرات



وموسيقى للكورال. وكثير من فلاسفة التنوير سمعوا الصبي، الذى يبلغ من العمر سبع سنوات «فولفسجانج أماديوس موتسارت» (١٧٥٦ - ١٧٩١) وهو يعزف فى باريس، لقد مات موتسارت وهو فى فقر مدقع إلا أنه فى سنواته الأخيرة كتب سيمفونيات رائعة وأوبرات عظيمة «زواج فيجارو» عام ١٧٨٦، و«دون جيوفانى» عام ١٧٨٧ و«كوزى فان توت» عام ١٧٩٠ و«النابى السحري» عام ١٧٩١ التى طبعت بطابعها عصر التنوير.

(١) جورج فردرش هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩): مؤلف موسيقى ألماني ضاق ذرعا ببلاط أمير هانوفر بألمانيا فرحل إلى إيطاليا ومنها إلى لندن عام ١٧١٠ التى أحبها وشعر أنه يستطيع أن يؤدى فيها دورا فى خلق الأوبرا خلقا متطورا وكتب كثيرا من الأوبرا منها أوبرا «يوليو قيصر فى مصر». (المترجم)

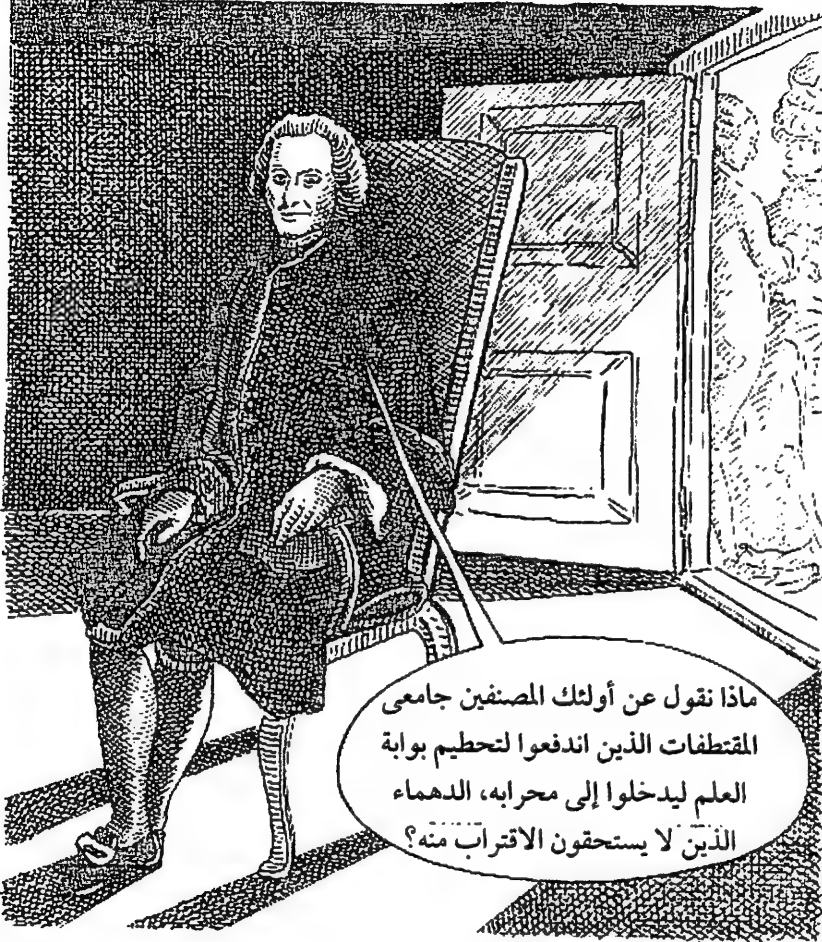
(٢) أوراتوريو Oratorio : لون من التأليف الموسيقى نشأ حوالى عام ١٦٠٠ ويتكون من نص دينى مسهب أعد إعدادا دراميا ويشارك فى أدائه المغنون الفرادى والكورال، ولا يحتاج إلى تمثيل ومناظر بل يؤدى فى الكنيسة تلاوة وإنشادا. (المترجم)

(٣) چون جاى (١٦٨٥ - ١٧٣٢): شاعر وكاتب مسرحى إنجليزى تمتع فى عصره بمكانة مرموقة، أشهر آثاره المسرحية «أوبرا الشحاذ» عام ١٧٢٨، وقد صور فيها التشخيص الخلقى فى المجتمع الإنجليزى. (المترجم)

(٤) فرانز جوزيف هايدن (١٧٣٢ - ١٨٠٩): موسيقار نمساوى بدأ فى التأليف الموسيقى وهو فى الثامنة من عمره، وفى نهاية حياته كان قد قدم أعمالا فى مختلف أنواع التأليف الموسيقى. (المترجم)

روسو المتوحش

حوّل روسو نفسه إلى عدو لدود «للتكلف» بكل أشكاله، ولم تكن عداوته للأغنياء واضحة فحسب (عما أخاف فولتير) بل امتدت إلى كثير من أتباعه من فلاسفة التنوير، وهم يستعرضون بضاعتهم العقلية.

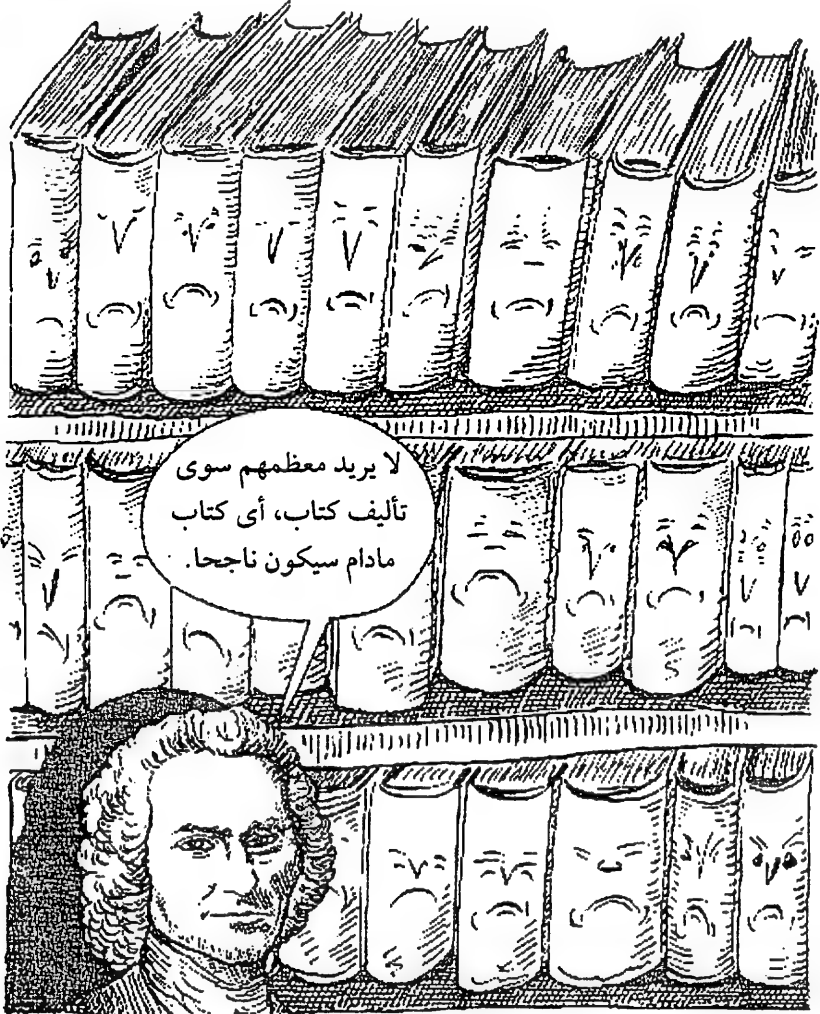


ماذا نقول عن أولئك المصنفين جامعي
المقتطفات الذين اندفعوا لتحطيم بوابة
العلم ليدخلوا إلى محرابه، الدهماء
الذين لا يستحقون الاقتراب منه؟

بدأ روسو في الخمسينيات (١٧٥٠) يخرج شيئاً فشيئاً من دائرة التعاطف مع جماعة هولباخ، أو باريس بصفة عامة، وكانت هناك معارك ساخنة «مع موسوعات» أخرى، «لقد سئم من رجال الصالونات والحفلات وملّ من أولئك الذين يريدون استعراض أنفسهم»، وشعر بالضيق من «المنشورات، والبيانو القديم، ولعب الورق، والكلمات المعسولة الغبية، ورواة الحكايات ومعدّي حفلات العشاء الفاخر» (١٧٥٦).

رحلة إلى الباطن

«لقد التقيت برجال كثيرين تعلموا في تفلسفهم أكثر مني، لكنهم في تفلسفهم ظلت فلسفتهم خارجية عنهم، يرغبون في أن يعرفوا أكثر من الآخرين، وهم يدرسون أعمال الكون، كما لو كانوا يستطيعون دراسة آلة عثروا عليها بسبب حب استطلاعهم المحض، ودرسوا الطبيعة البشرية ليتحدثوا عنها بلغة العارف بموضوعه، وليس لكي يعرفوا أنفسهم، ويوجهوا مجهوداتهم لإرشاد الآخرين، وليس لتنوير أنفسهم من الداخل...».



اعترافات روسو

يمثل روسو رجلاً أسكره تنوير بدليل، وهو رجل يصل إلى جمهور عريض؛ لأنه جمع أفكاره ووضعها في رواية من أكثر الروايات رواجاً هي «هلويز الجديدة» في عام ١٧٦١، ثم في رسالة تربوية تقرأها كما لو كنت تقرأ قصة هي «إميل» عام ١٧٦٢ وكان جمهور القراء شغوفاً بقصة أخرى هي قصة حياته.

وفي يناير عام ١٧٦٢ استقر رأى روسو على أن يعرض نفسه على شكل سلسلة من الرسائل إلى «ماليشرب» وهي التي شكّلت فيما بعد نواة كتابه «الاعترافات» (عام ١٧٨١ - ١٧٨٨).



لم أكن أخشى أن يراني الناس كما أنا
؛ فأنا أعرف عيوبي، وعلى وعي تام
بخطاي، لكنني يحذوني الأمل في الله
العلّيّ القدير، كما كنت مقتنعا بأنني لم
أجد من بين الرجال الذين عرفتهم
طوال حياتي رجلاً أفضل مني.

كان فلاسفة التنوير جماعة علمانية اجتماعية مهيبة، إلا أن روسو كان دائماً يحترق بنيران دينية، وكان فلاسفة التنوير ينظر الواحد منهم إلى الآخر في صراع لتحديد الدفاع عن شريعة جديدة للفضيلة التي تكون حديثة وعامة. أما روسو فقد كان ينظر إلى الضمير على أنه المرجع الوحيد في مسائل الأخلاق.

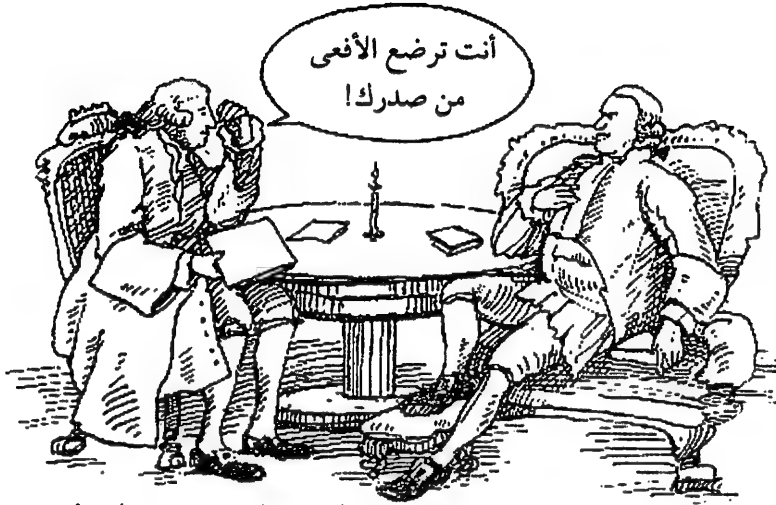
حذر ديدرو صديقه من مثل هذا النوع من الذاتية.



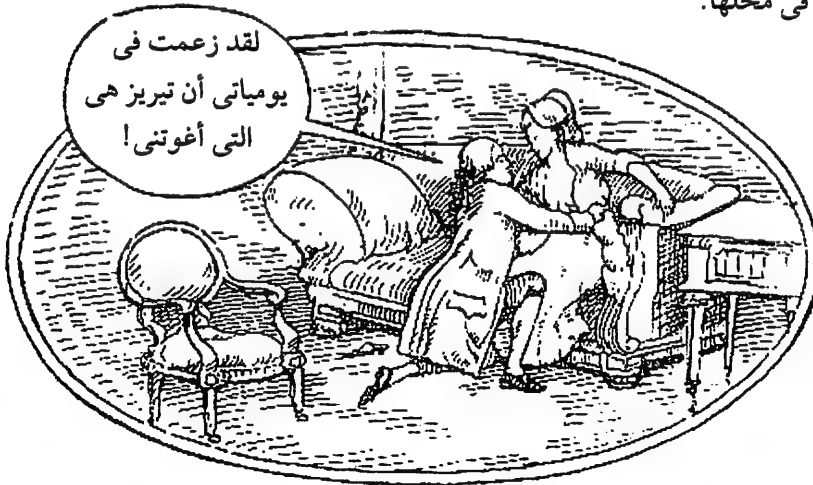
كنتُ على وعى تام بأنه مهما يكن ما تفعله
فسوف تجد أن شهادة ضميرك ستكون في
صفاك باستمرار.. لكن هل هذه الشهادة
كافية بذاتها، وهل هي تسمح بإهمال شهادة
الآخرين إلى حد معين؟

لقد عني روسو عناية فائقة بوجوده الباطني، وذلك دليل على استعداد الطبعي لجنون العظمة، غير أن الشخص المصاب بجنون العظمة يشعر أيضاً بالاضطهاد، وإن كان روسو كان يعاني بالفعل من الاضطهاد ثم جاء جنون العظمة ليزيد الأمر سوءاً، ففي لحظة من اللحظات كان منزله يقذف بالحجارة، وكان يتخذ ملجأً وملاذاً منزل سان بيير، إلا أن سلطات بيرن طردته.

ثم بعد ذلك، فى باريس عرض عليه ديفيد هيوم صاحب القلب الطيب المساعدة بأن يعثر له فى إنجلترا على مكان يلجأ إليه.



لم تلحق تيريزا - زوجة روسو - به فى لندن إلا فيما بعد. وعندما عرف هيوم أن مرافقها فى السفر فاسق شهير هو جيمس بوزويل (كاتب سيرة دكتور جونسون) ارتعب من حادثة «قاتلة تمس شرف صديقنا» لقد انتزعناها من فم فحل الخيل، وكانت مخاوف هيوم فى محلها.



الرومانسى الأول

عندما فسّر روسو لـ «مالشرب» قال له : «لقد فتشتُ عن مكان برّى فى الغابة» فى مكان فى عزلة هائلة ضاعت روحه.. «لا أفكر، ولا أستدل ، لكنى أشعر بنفسى بضرب من اللذة الحسية.. فى تفكك جوهر الكون،.. نشوة حلوة وعميقة تمسك بالحواس حتى أنك تفقد نفسك، فى لون من السكر اللذيذ، فى ذلك النظام البديع الذى توحد نفسك معه، عندئذ تهرب منك جميع الأشياء الحزينة بحيث لا ترى ولا تشعر إلا بالكل».



آدم سميث (١٧٢٣ - ١٧٩٠)

آدم سميث - مثل صديقه ديفيد هيوم - شخصية رئيسية في التنوير في اسكتلندا. كان الطفل الوحيد في أسرة تعيش في ظروف جيدة في «كيركالدي» وهي قرية على شواطئ «فيرث فورث» كان والده موظفا في الجمارك، توفي قبل ولادته بأشهر قليلة، فظل آدم قريبا من أمه طوال حياته. وقبل أن يتم الرابعة من عمره سرقة عصابة من الغجر، ومضى بعض الوقت قبل العثور عليه.

ولقد التحق سميث بكلية باليول بجامعة أكسفورد كطالب منحة عام ١٧٤٠، لكنه وصف الجامعة بأنها «غارقة في المحظورات والتحاملات المجحفة».



كان معظم أساتذة
أكسفورد العموميين قد
توقفوا تماما - لعدة
سنوات - حتى عن
التظاهر بالتدريس.

صادت سلطات الجامعة نسخة آدم سميث من كتاب ديفيد هيوم الذي كان قد نشر حديثا وعنوانه: «رسالة عن الطبيعة البشرية» عام ١٧٣٩، الذي كان قد أعطاه له أستاذه في جلاسجو الفيلسوف: فرانسيس هتشسون (١٦٩٤ - ١٧٤٦).

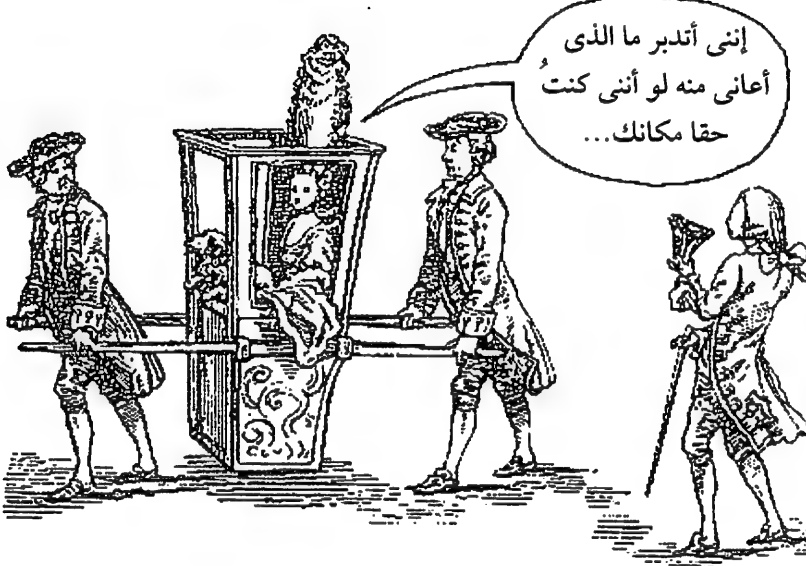
وعندما عاد آدم سميث إلى اسكتلندا ألقى سلسلة من المحاضرات العامة في الأدب الإنجليزي، وكان الموضوع جديدا تماما، على جمهور يتألف من مائة من المواطنين، دفع كل واحد منهم جنيها إنجليزيا، ثم ألقى في عام ١٧٥٠ - ١٧٥١ محاضرة عامة، في الاقتصاد، هو موضوع لم يسمع عنه قط في جامعة أكسفورد ولا في قاعاتها التي تتظاهر بالتقوى والصلاح، ولقد منحت هذه المحاضرات آدم سميث كرسيًا في جامعة جلاسجو، أولا أستاذًا للمنطق، ثم بعد ذلك أستاذًا للفلسفة الأخلاقية.

وكان أندرو كوشران، رئيس مجلس مدينة جلاسجو، قد أسس لتوه ناديا للاقتصاد، وسجل سميث عضواً فيه.



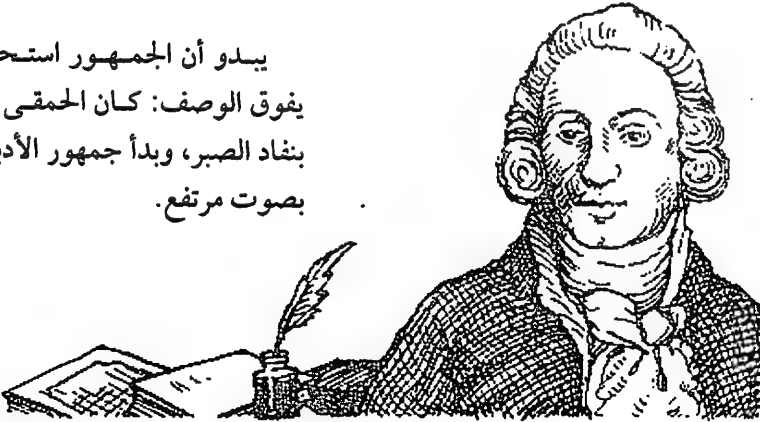
نظرية عن المشاعر الأخلاقية

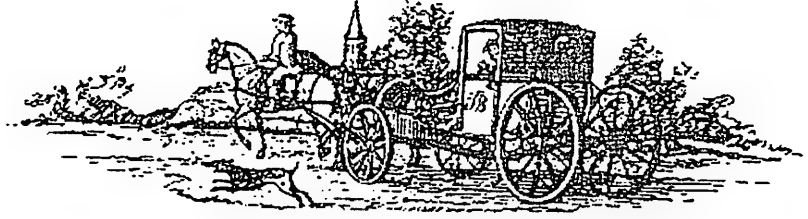
كان أول كتاب لـ «سميث» هو «نظرية عن المشاعر الأخلاقية» عام ١٧٥٩ وهو بحث قانون في فلسفة الأخلاق: طبيعتها وبيكولوجيتها، وهو يبين طريقة سميث في التفسيرات البسيطة للمشكلات المعقدة، فهو يصف المشاعر الأخلاقية بأسلوب بسيط من الكلمات . فهناك «رجل داخلي» ومشاهد محايد داخل كل منا يصدر الأحكام على كل ما نفعله من وجهة نظر الآخرين.



كتب ديفيد هيوم من لندن ليروى نجاح كتاب صديقه.

يبدو أن الجمهور استحسنه بشكل
يفوق الوصف: كان الحمقى ينظرون إليه
بنفاد الصبر، وبدأ جمهور الأدباء يمتدحونه
بصوت مرتفع.





تقاعد سميث من كرسي جامعة جلاسجو لكي يعمل معلما خصوصيا للشباب دوق «بوكلش» وبصفة خاصة ليصحب الدوق في جولة كبيرة في أوروبا^(١). وكذلك مقابلة فولتير في جنيف، وصديقه ديفيد هيوم في باريس، وكان سميث قد قيده فرانسوا كيناي (١٦٩٤ - ١٧٧٤) في المقابل الفرنسي للنادي الاقتصادي السياسي. وكان كيناي طبيب الملك، ويقيم في فرساي عن طريق مدام دي بمبادور.



ولقد أصبح تلامذة كيناي في الاقتصاد مشهورين فيما بعد باسم «الفزوقراط» الذين ذهبوا إلى أن الإنتاج - وليس التبادل - هو الذي يخلق الثروة والفائض المتاح للتراكم. ولقد شعر آدم سميث بأنه في بيته تماما وواصل العمل في كتابه الكبير: «ثروة الأمم».

(١) Grand Tout: رحلة تعليمية في أهم أنحاء أوروبا كان يقوم بها شباب الأشراف الإنجليز في القرن الثامن عشر. (المترجم)

ثروة الأمم عام ١٧٧٦

يفتتح كتاب آدم سميث «ثروة الأمم» بمثال شهير عن مصنع دبايس يقوم في جلاسجو على أعمال الحديد التي تسمى «مصنع المسامير»، وقد استمتع بزيارته عندما كان طالبا في المدرسة، ولقد مكّن تقسيم العمل عشرة من العمال من إنتاج ٤٨,٠٠٠ دبوس في اليوم الواحد.



لم يستحسن سميث تدخل الحكومة فيما رأى أنه الدينامية الطبيعية للعرض والطلب، فالتجارة الحرة هي حجر الزاوية في الاقتصاد السياسي عنده، ولقد قدم كتابه حججا لاستبعاد التعريفات الجمركية والرسوم، والاحتكارات، وتشجيع مشروعات السوق الحرة من جانب الأفراد، وفي هذه النقاط كان سميث على وفاق مع سياسة «دعه يعمل، دعه يمر» التي دافع عنها الفزوقراط.

اليد غير المرئية

فى تفسير سميث أن علاقات السوق تشجع حرية الأفراد كما تعمل على حرية الأمم، إنه عن طريق تفاعل السوق؛ أى عملية البيع والشراء، يصبح العامل الفقير حراً فى التعاقد على الأجور، وأن يترك الظروف الصعبة ويبحث عن ظروف أفضل.



وسواء أكان العمال كأفراد - والطبقة العاملة بالكامل - معانون من زيادة فى التعامل النسبى، فإنهم مع ذلك يتمتعون بتحسين مطلق فى مستوى معيشتهم، وعلى ذلك فإنه على الرغم من أنه يقع على عاتق الأفراد السعى لتحقيق مصالحهم الخاصة، فإن النظام يكشف عن وجود يد خفية غير مرئية تقدم مصالح المجتمع، ويتصالح التفاوت الاجتماعى مع مؤن كافية للفقراء.

سميث و روسو

أدرك سميث أن هناك جانبا مظلما في تقسيم العمل، وبما أن العامل كان محصورا في بعض عمليات غاية في البساطة، فلا بد له من أن يصبح في النهاية «غيا وجاهلا بمقدار ما يمكن للموجود البشري أن يصبح كذلك». وتفسيره لانتزاع الجانب الإنساني واضح للغاية كأي تفسير حديث للاغتراب الصناعي.



لو أن الناس اختاروا لظلوا على مسافة من «المتحدر الوعر للمجتمع» عن طريق حكمهم على سلوكهم من منظور الهيمنة للمشاهد غير المتحيز، وبالطريقة التي سبق أن لخصها في كتابه «نظرية عن المشاعر الأخلاقية».

سميث وروسو يمثلان معا رواية التاريخ البشرى الذى تتشابك فيه الأخلاق والاقتصاد، انتقال الجنس البشرى من البساطة المتوحشة إلى العالم الحديث: عالم الملكية الخاصة والتكلف واللامساواة

لقد تصور سميث «حالة الطبيعة» الأصلية حالة من الندرة. فالحرية البشرية لا تنتج إلا من التطور التاريخى الحزونى الذى يؤدى فيه التعاون والتبادل إلى تقسيم العمل وخلق الفائض.



آدم سميث عن السوق فى الأفكار يقول : «فى المجتمع التجارى أو الثرى فإنه إلى جانب أنه: لكى تفكر أو يظهر الاستدلال فإنه مثل أى وظيفة أخرى: عمل جزئى تقوم به مجموعة ضئيلة جدا من الناس الذين يزودون الجمهور بجميع الأفكار والاستدلال التى تملكها مجموعات هائلة من البشر هى التى تعمل. وهناك فقط جزء صغير جدا من معرفة أى شخص عادى هذا الذى يقوم بالمشاهدة الشخصية والتأمل، أما بقية الأجزاء فقد اشتراها كما يشتري حذاءه أو جواربه من أولئك الذين يصنعونها أو يجهزون للسوق تلك الأنواع الخاصة من السلع».

صاموئيل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) (١)

ولد جونسون ابنا لبائع الكتب في «ليثفيلد»، وكان قارئاً جيداً بالفعل عندما ذهب إلى أكسفورد، إلا أن ضيق ذات اليد اضطره للانسحاب من الدراسة، لكنه تلقى درجة الدكتوراه في النهاية عام ١٧٦٤ وسره أن يصبح «دكتور جونسون»



عمل جونسون وعاش في غموض نسبي، فقد بدأ حياته من الصفر صحفياً ومترجماً في برمنجهام قبل أن يستقر في لندن عام ١٧٣٧ حيث أصبح في النهاية شخصية أدبية لامعة، ولقد عمل منذ عام ١٧٤٦ حتى عام ١٧٥٥ في أكثر مشروعاته طموحاً: «معجم اللغة الإنجليزية» الذي كتب فيه هو نفسه أكثر من ٤٠٠٠ مادة مدرجة من المعجم، وكان استخدامه المسرف للاقتباسات الأدبية، تجديداً حقيقياً في «معجم جونسون» ظل مصدر

ثقة حتى ظهور معجم أكسفورد للغة الإنجليزية عام ١٨٨٤.

لقد خلّده في كتابي «حياة صاموئيل جونسون» عام ١٧٩١ ثمة عشرين عاماً من الصداقة، رغم أنها غير متكافئة.



وفي عام ١٧٦٤ أسس جونسون «النادي» الذي نعم فيه بصحبة رجال من أمثال يشوع رينولدز، ورجل البرلمان إدموند بيرك، والكاتب المسرحي أوليفر جولد سميث.

(١) صاموئيل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) : كاتب وشاعر وناقد وصحفي ومعجمي إنجليزي يعرف عادة بـ «الدكتور جونسون» بسبب الدكتوراه الفخرية التي منحتها إياها جامعة دبلن (عام ١٧٦٥) وتلك التي منحتها إياها جامعة أكسفورد عام ١٧٧٥، يعتبر أحد أبرز وجوه الحياة الأدبية في القرن الثامن عشر، أشهر آثاره معجم اللغة الإنجليزية عام ١٧٥٥. (المترجم)

سميث ينضم إلى نادي دكتور جونسون الأدبي

في ربيع عام ١٧٧٣ ذهب آدم سميث إلى لندن مع ما اعتقد أنه مخطوطة تامة لكتابه «ثروة الأمم»، وهناك كان يتناول طعام العشاء مع دكتور جونسون، وإدموند بيرك، وإدوار جيون، وديفيد جاريك، وسير يشوع رينولدز، وأوليفر جولد سميث.



بنيامين فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠)

كان بنيامين فرانكلين - بطريقته الخاصة - مثالا نموذجيا لساكن الغابة في عصر التنوير، «المتوحش النبيل»، علّم نفسه حتى أصبح عالما يهتم بكل شيء. اكتسبت تجاربه في الضوء والكهرباء أهمية رمزية لعصر استحوذت عليه قوى جديدة في العلم والتكنولوجيا. لعدة عقود نشر فرانكلين: «تقويم ريتشارد المسكين» تقاطع بين الموسوعة والصحيفة ومجموعة من الأمثولات التي تستهدف مساعدة الإنسان لنفسه والتحسين



لقد كان فرانكلين يُعرف في صالونات باريس بأنه الفيلسوف التنويري والعالم الحقيقي حتى قبل أن تصبح الثورة الأمريكية سببا للشهرة والإثارة في أوروبا.

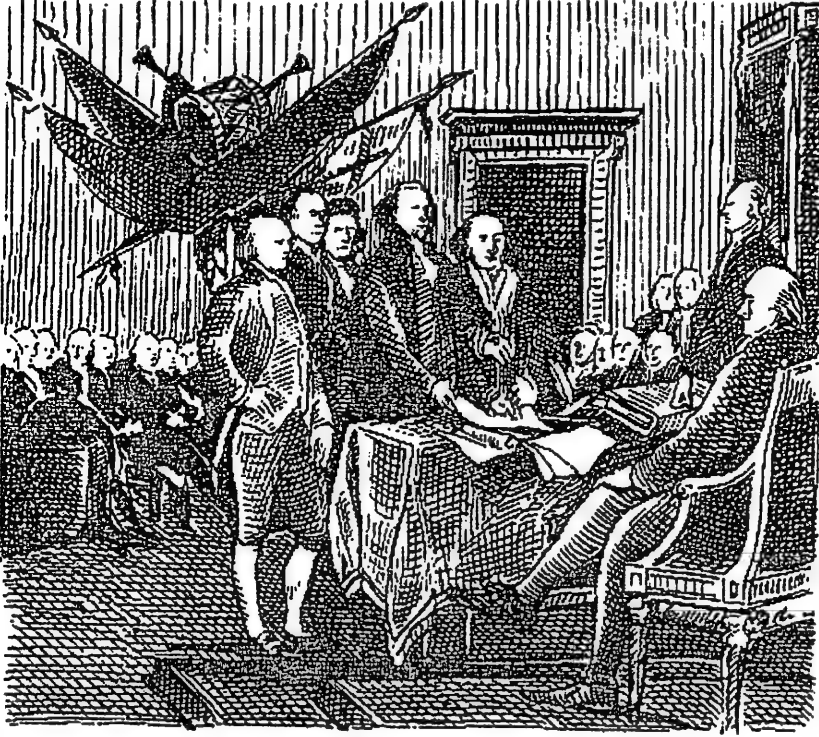
الثورة الأمريكية

الإيمان بتفاوت لا حد له في التقدم وفرص المساواة وجد أرضاً خصبة في أمريكا في القرن الثامن عشر، التي ظهرت لتجسيد عصر التنوير في حالة فعل.



إعلان حقوق الإنسان

كان سكان المستعمرات الأمريكية ينظر إليهم على أنهم متمردون مكروهون، ولقد ظلوا لعدة عقود يقدمون التماسات وتوسلات للحكومة الإنجليزية يطلبون منها فقط أن تسمح لهم بالحرية نفسها التي يتمتع بها الرعايا الإنجليز في وطنهم. ثم في النهاية أشعلوا حرب الاستقلال، وبدأ «إعلان الاستقلال» بصوته المدوي، وصياغته التي لا تنسى، بعرض لمبادئ كان جون لوك أول من أكدها في عصر الثورة المجيدة في إنجلترا.



« نحن نؤمن بأن هذه الحقائق واضحة بذاتها وهي أن الناس جميعا ولدوا متساوين وأن الخالق وهبهم حقوقا معينة لا يمكن التنازل عنها، من بينها: الحياة، والحرية، وحق البحث عن السعادة ».

لم يتحدث جون لوك إلا عن الحياة، والحرية، والملكية الخاصة، لكن في «أرض
الفرص» حتى هؤلاء مع ملكية ضئيلة يمكنهم البحث عن السعادة، وحتى الثوريين
الأمريكيين المكروهين كانوا محظوظين، فلم يلتقوا أبداً بمشهد الجوع والجماهير نصف
العاطلة، ففي العالم الجديد حتى الفقير كان قادراً على أن يجد تربة صالحة وبالتالي يهرب
من البؤس والظلام اللذين كان يعاني منهما الكثيرون من سكان أوروبا. عندما لاحظ
بنيامين فرانكلين حالة فقراء باريس، وجد نفسه يفكر كثيراً في سعادة إنجلترا الجديدة.

حيث يكون كل إنسان مالكا حرا، له
صوت في الشؤون العامة، يعيش في
بيت دافئ مرتب، لديه وفرة من
الطعام.



في العالم القديم الذي يسكنه عشرون مليوناً من البشر يوجد تسعة عشر مليوناً أشد
بؤساً وأكثر لعنة في كل ظروف الوجود البشري من أي فرد بائس في الولايات المتحدة
كلها.

الفقير والعبيد

لم يكن العالم الجديد بلا فقر، فالواقع أن الآباء المؤسسين كانوا مقتنعين بأن التفرقة بين الغنى والفقير تفرقة أزلية . لقد سعوا للقيام بثورتهم وهم يحملون هذا الإيمان، وفيما بعد إبان الثورة الفرنسية، ساعدت مطالب أكثر أجزاء المجتمع بؤسا في التعجيل بأقصى درجات العنف إبان عهد الإرهاب.



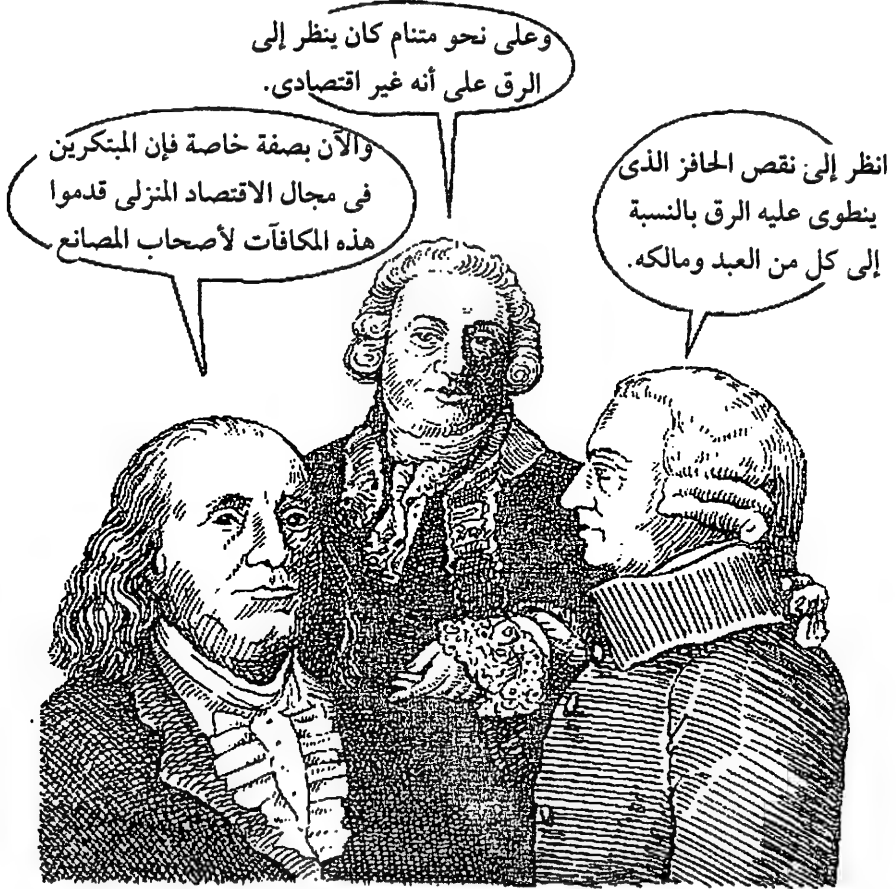
كان توماس جيفرسون هو المؤلف الحقيقي
«إعلان حقوق الانسان» يملك عبيداً شأنه شأن
بقية الآباء المؤسسين، غير أنه أزعجته واقعة
الرق في بلاد تتأسس على حقوق كلية.



كنتُ أرتعد خوفاً على بلادى عندما أفكر أن الله عادل أو أن عدالته لا يمكن أن تنام
إلى الأبد . التجارة بين السيد والعبد هي الاستبداد، ولم يكتب شيء في كتاب القدر
أشد يقينا من أن هؤلاء الناس ينبغي أن يتحرروا.

إدانة الرق

اتبع ممثلو عصر التنوير المتعددون نموذج مونتسكيو وأدانوا الرق، بوصفه ممارسة لا تليق بالإنسان المتحضر، كما أنها تسير في معارضة الإيمان المستنير بالجانب الإنساني المشترك.



غير أن المعارضة المبدئية للرق جاءت أساساً من بين الإنجليين من الكويكرز، وكذلك المنهجين أو الأنجليكان^(١)، الذين أدانوا الرق واعتبروه خطيئة، وفي عام ١٧٨٧ ظهرت جمعية إلغاء الرق في بريطانيا، ثم تبعتها بعد عام جمعية أصدقاء السود في فرنسا.

(١) الإنجليي: هو الواعظ البروتستانتي، والميثوديون أو المنهجيون: طائفة بروتستانتية، أما الأنجليكان: فهم أتباع كنيسة إنجلترا. (المترجم)

دفاع عن الرق

كان الدفاع عن الرق في جميع قطاعات المجتمع أكثر شيوعاً عما يمكن أن يعترف به - بصفة عامة - جيمس بوزويل. بعد روايته لمعارضة صموئيل جونسون للرق، رجا أن نترك حتى الآن «احتجازه الخاص الرهيب ضد نظريته العامة في احترام تجارة الرق».

إلغاء وضع صادق عليه الله في كل العصور وواصله الإنسان لن يكون سرقة فحسب لطبقة لا حصر لعددها لزملائنا من الرعايا، بل ستكون قسوة متناهية للمتوحشين الأفارقة، سيوفر على جزء منهم مجزرة أو عبودية لا تحتمل في وطنهم هم، ويدخل في حالة أكبر من السعادة في الحياة لا سيما عندما ينقلون إلى الهند الغربية ويعاملون معاملة إنسانية.



إمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤)

جاء عصر التنوير في ألمانيا متأخراً لكنه أنتج عمالقة في الفلسفة من أمثال إمانويل كانط، الذي بدأ بتراث الميتافيزيقا من ذلك النوع الذي رفضه فلاسفة التنوير الفرنسيين من الناحية التجريبية. عرض كانط آراءه في كتابه الرئيس «نقد العقل الخالص» عام ١٧٨١ الذي ينظم حدود الميتافيزيقا ويزودنا بأساس نقدي لنوع من المعرفة نستمد من العلم الطبيعي.



لقد سمعت أيضاً إلى أن أقدم أساساً
للثورة في عالم الأخلاق والعادات التي
أشترك فيها مع روسو.

كافح كانط لحل التوتر الذي أدى إلى الفُرقة بين روسو والموسوعيين، إلا أن هذا التوتر ظل واضحاً في تفرقة كانط المطلقة بين ما يمكن لنا معرفته علمياً - عالم الظواهر أو الظاهريات - والعالم الداخلي أو النيومين: عالم القانون الخلقى.

كان التزام كانط بالعقل، وبالسلام، وبالتقدم، وبمجموعة كاملة من البحوث قد وضعه في صف واحد مع القادة من فلاسفة التنوير، لكن ما يميز كانط كفيلسوف ألماني بشأن مؤلفاته النقدية، ويجعله معارضا تماما لروح فلاسفة التنوير، هو طموحه لخلق مذهب فلسفي كامل تام وشامل. لقد اعتقد كانط - نتيجة لهذه كل نتائج الميتافيزيقا السابقة - أن الحقيقة أصبحت الآن هدفا يمكن بلوغه «قبل نهاية القرن الثامن عشر».



الطريق النقدي هو وحده الذي لا يزال مفتوحا، وإذا كان لا يزال لدى القارئ الرقة والصبر ليسير بصحتي في هذا الطريق فإنه الآن قادر على أن يحكم ما إذا كان.. ما لم تستطع إنجازه قرون عدة يمكن الآن بلوغه قبل نهاية القرن الحالي؛ أعني إعطاء العقل البشري الرضا التام عما كان باستمرار يشغل فضوله لكنه ظل حتى الآن عبثا.

ما المقصود بعصر التنوير؟

في عام ١٧٨٤ كان عصر التنوير قد بلغ مائة عام من عمره، وقد سألت إحدى المجلات الألمانية قراءها الإجابة عن هذا السؤال وهو: ما المقصود بعصر التنوير؟ أو ما التنوير؟ وكانت هناك إجابات متعددة من قادة الثقافة في ألمانيا، ومن بينهم كانط الذي أصبح الآن شهيراً كأستاذ للفلسفة^(١).
التنوير هو خروج الإنسان من قصوره الذي اقترفه في حق نفسه، وهذا القصور هو عجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر.



(١) نشر قسيس بروتستانتي مغمور مقالاً في «مجلة برلين الشهيرة» تساءل فيه عن معنى التنوير، وانبرى الفيلسوف اليهودي موس مندلسون (١٧٢٩ - ١٧٨٦) للرد عليه بمقال «حول السؤال: ما التنوير؟» ثم نشر كانط مقاله الذي يشير إليه المؤلف قبل أن يطلع على مقال صديقه مندلسون، راجع في ذلك كله ترجمة مقال كانط: ما التنوير؟ في الكتاب التذكاري للدكتور زكي نجيب محمود الذي أصدرته جامعة الكويت عام ١٩٨٧. (المترجم)

«تشجع واعرف! فلتكن لديك الشجاعة لاستخدام عقلك»، هذا هو شعار كانط لعصر التنوير، وكلمات كانط تلخص رؤية يشاركه فيها العديد من القادة المثقفين ومن الباحثين والعلماء في القرن الثامن عشر. ثم استمر ليسأل: ما نوع القيود السياسية التي تشكل عقبة أمام التنوير؟

إن الاستخدام العام لعقل المرء لابد من أن يكون حراً على الدوام، وهو وحده الذي يمكن أن يكون مستنيراً بين البشر.



لو أننا تساءلنا: هل نعيش الآن
في عصر مستنير؟ لكان
الجواب: لا، وإنما نحن نعيش
بالفعل في عصر التنوير.

معارضة عصر التنوير

كان نجاح عصر التنوير عظيماً، حتى أنه يصعب أن نجد شخصاً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر لا يشارك في آفائه ولا في تحاملاته. لم يأت ردّ الفعل لثقة عصر التنوير في العقل من الديانة الأرثوذكسية وحدها، بل أيضاً من أحلام «السكر الإلهي» عند أشخاص مثل «هامان» أو «بليك» اللذين كان لهما تأثير دائم حتى ولو كان من تحت الأرض.

لم يكن هناك أحد أشدّ شراسة في معارضته لعبادة العقل المنتشرة في ذلك الوقت من وليم بليك (١٧٥٧ - ١٨٢٧)^(١)، كان بليك متحمساً للثورة الفرنسية بقدر ما كان قلقاً من الثورة الصناعية، ولقد فضح «طواحين الظلام الشيطانية» والبؤس البشري الذي يعاني منه جماهير العمال الذين تكتظ بهم المصانع. وفي عام ١٧٨٩ - وهو العام الذي نشبت فيه الثورة الفرنسية - نشر وليم بليك «زواج الجنة والنار» وهو كتاب شعر يعارض الحكمة العقلية.



(١) شاعر ورسام ومتصوف إنجليزي، غلبت الرمزية على آثاره وبخاصة المتأخرة منها. أشهر أعماله الشعرية «أغاني البراءة» عام ١٧٨٩، و«أغاني الخبرة» عام ١٧٩٤. قام بعمل رسومات مائة ملحمة دانتي «الكوميديا الإلهية» عام ١٨٢٥. (المترجم)

ولقد ردَّ بليك بعنف - في تفسيره «مقالات» سير يشوع رينولدز - على معالجة عصر التنوير للخيال، ففي رأى بليك أن رينولدز أسس نفسه على بحث إدموند بيرك عن «الجليل» الذي يقوم بدوره على أساس فلسفتي فرانسيس بيكون وجون لوك.



«سخرؤا من الإلهام والرؤيا، وهما كانا موجودين وهما الآن كذلك، وآمل أن يظلا كذلك أيضاً عنصرى، وموطنى الذى أعيش فيه للأبد... حماسى هو كل شىء». لقد دمرت فلسفة بيكون إنجلترا، كما دمرت الفن والعلم. اللهم احفظنا..

من الرؤية الواحدة ومن غفوة نيوتن!..

وليم بليك: من رسالة إلى توماس بطس. فى ٢٢ نوفمبر عام ١٨٠٢.



فى لغة رؤاه الكاشفة للغب شخض بليك المجتمع بأنه مجتمع الآلات الذى ردت
أفكاره المادية والحتمية الإنسان إلى مجرد آلة.

كلما أدرت عيني فى مدارس وجامعات أوروبا، رأيت نول لوك لحمته الغضب
والكآبة تغسله دواليب الماء لنيوتن: نسيج أسود فى سحابة كثيفة من الدخان تطوق كل
أمة، رأيت أعمالا قاسية تقوم بها كل عجلة، بدون عجلة، تروس العجلة، حركة قاسية
حيث تضغط كل منها على الأخرى...

جورج هامان (١٧٣٠ - ١٧٨٨)

فى عام ١٧٦٨ وفى مدينة كونجسبرج، وفى حديقة التاجر الإنجليزى مستر جرين، قال كانط إن علم الفلك قد بلغ تلك الدرجة من الكمال التى تجعل من غير الممكن أن يتقبل افتراضات جديدة. إن كانط الذى كانت عقليته ترتاح للنظام يمكن أن يقبل واقعة أن العلم يبدو أنه انغلق على هذا النحو.

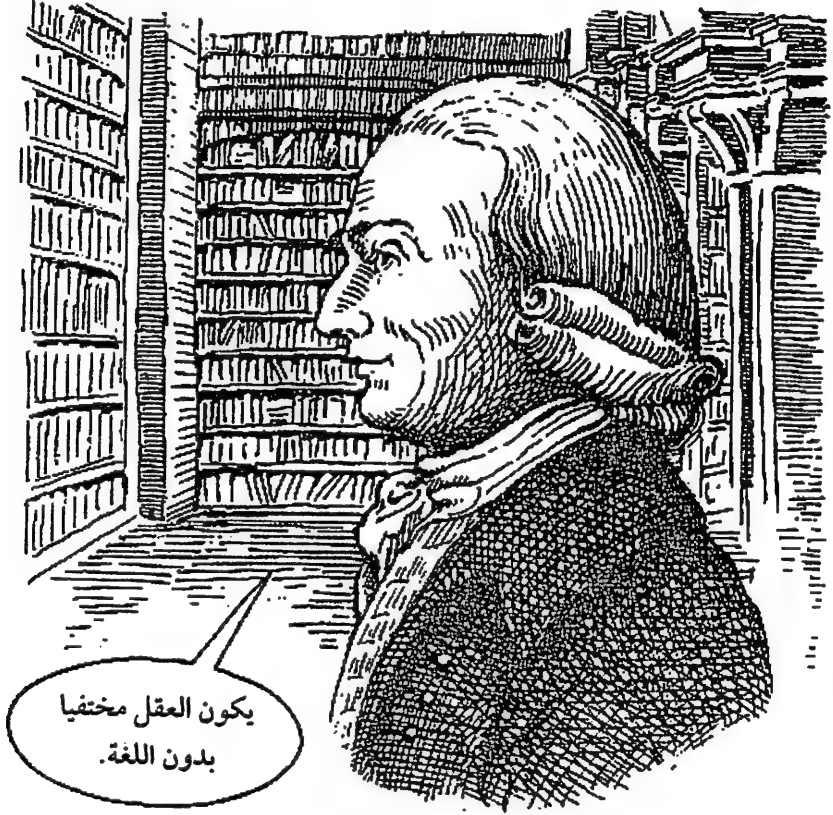


إننى أنظر إلى أفضل برهان فى الفلسفة على أنه أشبه بالفتاة الرشيد التى تنظر إلى الخطاب الغرامى بلذة لكن بريبة.

اللغة، أوريغانون^(١) العقل

فى حين أن بليك كان غاضبا من الطريقة التى هبط بها عصر التنوير فى تقديره للخيال، فإن هامان قد اعتقد أن عصر التنوير جعل من نفسه سخرية عندما تغاضى عن دور اللغة.

كل حديث عاطل عن العقل هو قبض الريح، فليست القدرة على التفكير كلها متوقفة على التفكير فحسب، وإنما اللغة هى أيضاً، مركز سوء الفهم للعقل مع نفسه.



أنا على وشك الظن بأن فلسفتنا بأسرها تحتوى على قدر من اللغة أكثر من العقل، وسوء الفهم للعديد من الكلمات، ولقد خلق تشخيص التجريدات التعسفية عالماً كاملاً من المشكلات حاولت عبثاً حله على نحو ما خلقته.

(١) الأوريغانون Organon ؛ أى الأداة أو الوسيلة أو الطريقة. (المترجم)

العاصفة والاندفاع

على الرغم من تشجيع فردريك الأكبر ملك روسيا، فإن عصر التنوير فشل في أن يتقدم في عملية الترقيع في الإمارات التي تتحدث اللغة الألمانية. قادته مجموعة من «الشباب الغضاب» الذين ابتكروا بدعة جديدة للاحتجاج العاصف والانفعال الكثيف، وهي التي نعرف اليوم باسم «العاصفة والاندفاع» بعد مسرحية «الاضطراب أوالعاصفة والاندفاع» التي كتبها فردريش كلنجر (١٧٥٢ - ١٨٣١) عرف باسم عصر العبقرية افتتحه بكتابه «المذكرات السقراطية» عام ١٧٥٩، لم يزدهر إلا لفترة قصيرة في السبعينيات.



مزقني العذاب أشلاء وهو يمكن أن يغمر أى إنسان آخر، كنت أود في كل لحظة أن أطرح الإنسانية وجميع الكائنات الحية، وأن أنفخ في العماء ليلتهم كل شيء، وأن ينقض على بعدها.

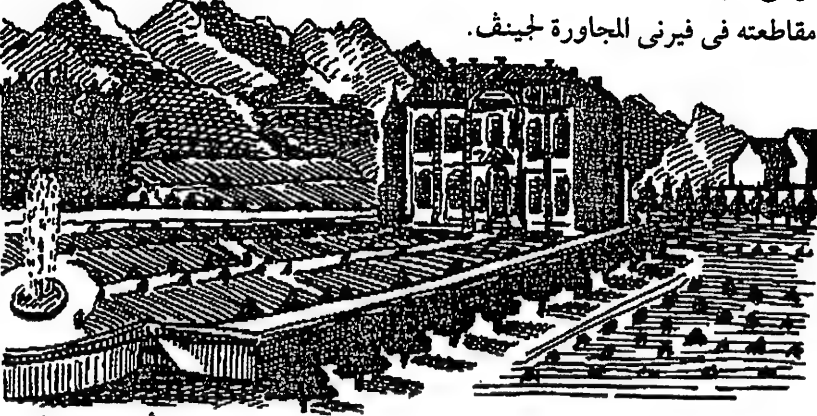
القصة العظيمة « للعاصفة والاندفاع » هي قصة «آلام الشاب فترتر» عام ١٧٧٤- التي كتبها جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) - فالبطل المكتئب الذي مارس الانتحار، الشاب فترتر، يكنس بقدمه كل أوروبا المتعلمة!



هذه القصة، بل الحركة ككل قد تأثرت بعمق بروسو، فقد احتقر شباب هذه الحركة عقلانية فلاسفة عصر التنوير وتبنوا أخلاق وديانة الطبيعة عند روسو. وعندما كبر الممثلون «للعاصفة والاندفاع» في السن، أصبحوا عمالقة الكلاسيكية الألمانية، وأصبح الجيل الأصغر من الكتاب (الذين اشتركوا في الحلقات نفسها) الرومانسيين الألمان.

فولتير فى فيرنى

الاستثمارات المالية الحكيمة لفولتير ونجاحه ككاتب جعلاه رجلا فاحش الثراء، لقد استقر فى فرنسا مرة أخرى لكن قرب الحدود استعدادا للهرب السهل، فبنى قصرا أنيقاً فى مقاطعته فى فيرنى المجاورة لجينف.



كان فولتير ابتداء من عام ١٧٦٠ يعقد جلسات فى قصره، فأصبح موضع حب استطلاع أوروبا، و الأماكن التى لا بد من زيارتها فى الرحلة حول عواصم أوروبا التى يقوم بها الشاب المثقف، ولقد واصل فولتير - فى سبيل تغيير المجتمع - قذف الجمهور بالكتب الرخيصة الصغيرة التى تحتوى على خطب لاذعة، وبحوث، ومقالات فى الصحف وتعليقات.



إن عشرين صفحة من المجلدات لا تستطيع أن تحدث ثورة، مع أن الكتب الصغيرة هى التى يخشى منها وهى الكتب التى توضع فى الجيب، الكتب التى يسهل حملها، والتى تباع بثلاثين سو^(١) ولو أن الأناجيل كانت قد بيعت ب ١٢٠٠ سسترس^(٢) ما كان يمكن للديانة المسيحية أن تنتشر.

(١) السو Sou : عملة فرنسية قديمة ضئيلة القيمة . (المترجم)

(٢) السسترس Sesterce : عملة رومانية قديمة . (المترجم)

رجل واحد: منظمة عفو دولية

ولقد وصل إلينا حوالى ١٥ مليون كلمة مما كتبه فولتير وهى كافيه لعمل عشرين نسخة من الكتاب المقدس، ولقد قيل عن فولتير إنه أكثر من أن يكون رجلا من رجالات الأدب؛ فهو من ناحيته يختلف عن مونتسكيو، وديدرو، ورسو الذين اكتفوا بتنوير وإشعال عقول الناس من خلال كتاباتهم فحسب.



البراءة المقهورة كانت تحركنى،
وكان الاضطهاد يجعلنى ساخطا
وناقما بعنف.

أعظم كتبي هى تلك التى
نالنى منها خير ضئيل.

عندما علم فولتير أن هناك أقتانا يعملون فى مقاطعات قريبة من مقاطعته شن حملة لتحريرهم. على الرغم من حملته المستمرة لصالح حرية التعبير والتسامح الدينى، فإن فولتير لم يكن مصلحاً اجتماعياً، لقد بنى قضايا فردية خاسرة فدافع عن أى فرد يعتقد أنه كان ضحية ظلم، أو بتعصب أعمى دينى أو أحكام مبتسرة. ولقد كتب أحد المعجبين يقول إن موقف فولتير يمكن تلخيصه على النحو التالى: «إننى أستهجن ما تقول ولا أوافق عليه، لكنى سوف أدافع حتى الموت عن حقك فى أن تقوله».

لقد تساءل فولتير: «ماذا يعنى أن تكون حراً؟ إنه يعنى أن تستدل استدلالاً صحيحاً، وأن تعرف حقوق الإنسان، وعندما تعرفها جيداً فسوف تدافع عنها».

الرعا ع

هناك موضوع واحد تذبذب فيه فولتير مثل غيره من فلاسفة التنوير - وهو معالجة الجماهير. لقد قدمت كتابات ديدرو مقتطفات كثيرة عن موضوع الغوغاء كحقيقة من حقائق الحياة، ولن نجد أحدا يواجهه - دع عنك أن يواجه المشكلات التي أثارها النظرية السياسية عن طريق أخطار وفرص «التعليم». كتب ديدرو يقول - في رسالة إلى صوفي فولاند في ٣٠ أكتوبر عام ١٧٥٩ : « الشعب أحقق جدا في تصرفاته، غليظ القلب للغاية، بائس للغاية ، مشغول جدا عن أن ينيّر نفسه». ونحت مادة «الموسوعة» في الموسوعة ذاتها كان هناك مكان إستراتيجي ليكتب ديدرو مثل هذه الملاحظة:

«الجموع الغفيرة من النوع لم تخلق لتتابع ولا لتعرف مسيرة الروح البشرية. أكثر من نصف العالم الصالح للسكنى لا يزال تسكنه حيوانات تسير على قدمين تعيش في ظروف مرعبة تقترب من حالة الطبيعة.. تعيش وتموت عمليا دون أن نعرفها».

أما بالنسبة للرعا ع فأنا لا أهتم بهم ؛ فسوف يظلون على حالهم مجرد رعا ع.



ولم يستطع فولتير أن يتنبأ بأن هؤلاء «الرعا ع» «الغوغاء» - بما تحمله من سخط عميق، وأنصاف المتعلمين، الذين طردهم عام ١٧٦٧ سرعان ما ينسلون طبقة «اللامتسرولون»^(١) وهم الجمهوريون المتطرفون في أثناء الثورة الفرنسية.

(١) اللامتسرولون Sans - Culottes : تعبير استخدم أيام الثورة الفرنسية ليصف أبناء الطبقة الدنيا من الجمهوريين الفرنسيين المتطرفين . (المترجم)

أزمة في النظام القديم

عندما اعتلى الشاب لويس السادس عشر العرش في عام ١٧٧٤ كان أول شخص يقوم بتعيينه هو فيلسوف التنوير آن روبرت جاك تورجو (١٧٢٧ - ١٧٨١) (١) الذي كانت له مهام متميزة في الخدمة العامة، فقد طور تورجو برنامجا للإصلاح الاقتصادي.

اقترحت إلغاء التعريفية الجمركية الداخلية، وامتيازات الطوائف المهنية، وتوزيع أعباء الضرائب على فئات المجتمع، كما اقترحت أيضا أن يمنح البروتستانت الحقوق المدنية كاملة.



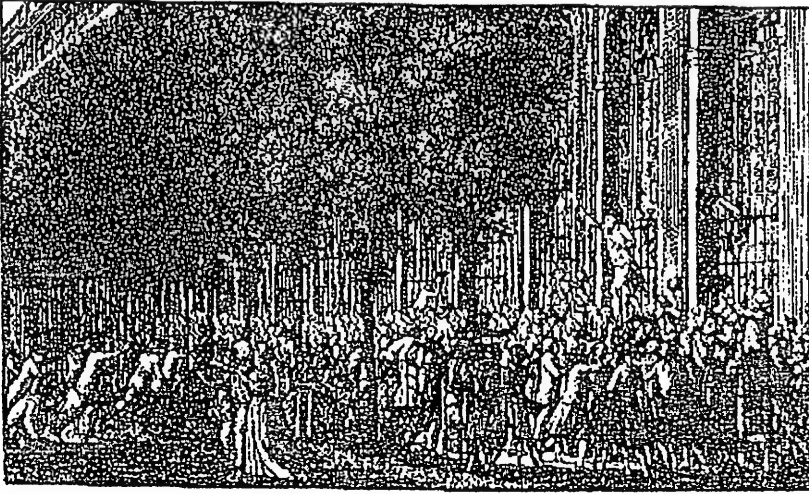
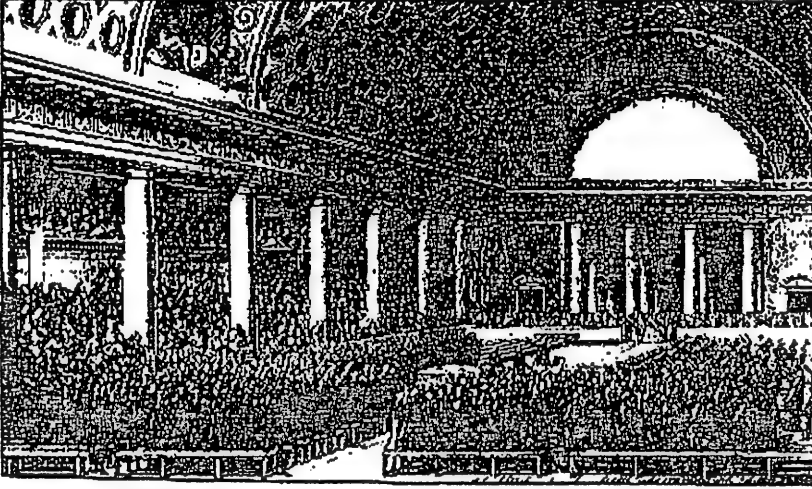
لم يكن هدفي أن
أخلط أنظمة
المجتمع.

بعد أقل من سنتين أعفى تورجو من منصبه، وأصيب فلاسفة التنوير بالهلع، ولجأوا بعد نصف قرن إلى النقاش والنقد لتغذية روح الإصلاح، لكن حتى أمثال هذه الشخصيات المحترمة والخيرة مثل تورجو لم تستطع أن تبقى في معارضة القوى الرجعية الراسخة، وكما قال فولتير «إن إقالة مثل هذا الرجل العظيم: تورجو، صدمتني، ولم أتابع الأحداث منذ ذلك اليوم المميت أو أسأل أي إنسان عن أي شيء، وانتظرت صابرا من سيأتي ليقطع رقابنا».

(١) آن روبرت جاك تورجو (١٧٢٧ - ١٧٨١): سياسي وعالم اقتصاد فرنسي ووزير المالية (١٧٧٤ - ١٧٦٠) في عهد الملك لويس السادس عشر، يعتبر أحد أبرز زعماء مدرسة الفيزيوقراط التي دعت إلى إلغاء القيود المفروضة على الاقتصاد، حاول إصلاح الاقتصاد الفرنسي بتشجيع الصناعة وإطلاق حرية التجارة ومقاومة الاحتكارات، وقف ضده الأرستقراطيون فأقاله لويس السادس عشر. (المترجم)

الثورة الفرنسية

فى عام ١٧٨٩ - وفى محاولة يائسة لمعالجة الأزمة المالية - اضطر لويس السادس عشر إلى استدعاء مجلس طبقات الأمة، وهو مجلس وطنى يمثل ثلاث طبقات فى المجتمع الفرنسى: طبقة رجال الدين، وطبقة النبلاء، وعامة الشعب، ولم يكن هذا المجلس قد اجتمع منذ ١٧٥ سنة. ودارت مناقشات حامية حول كيفية قيام المجلس بمهامه أدت إلى غليان شعبى وفى النهاية إلى قيام الثورة، وقد انشق ممثلو العامة ليشكلوا «الجمعية الوطنية».



وفي ١٤ يوليو عام ١٧٨٩ هاجمت الحشود الباريسية الغاضبة سجن الباستيل. ومع نهاية شهر أغسطس كانت الامتيازات الإقطاعية التقليدية قد ألغيت وأصبح «إعلان حقوق الإنسان والمواطن» قانونا، كما أعلن أن الحقوق الطبيعية للإنسان مقدسة ولا يمكن التنازل عنها، ومنها: « الحرية، والملكية، والأمن، ومقاومة الظلم والقهر».



وفي إعلان حقوق الإنسان سجلت المثل العليا لعصر التنوير وقدّمت إلى العالم، وظلت فرنسا للسنوات العشر القادمة تعاني من العنف الثوري مما اضطرها إلى أن تدافع عن نفسها ضد هجمات بعثة دول أوروبا. وكان اعتلاء نابليون للسلطة عام ١٧٩٩ يعني أن الثورة، ومعها كل تراث عصر التنوير، قد تعرضت للهجوم والاعتداء.

نهاية عصر التنوير

قلة قليلة من فلاسفة التنوير الذين خلقوا عصر التنوير عاشوا أو رأوا الثورة الفرنسية، غير أن الثورة قام بها شباب أصغر سناً، أما صورتها المتطرفة فقد قام بها قادة من اليعاقبة من أمثال: مكسيميليان روبسبير (١٧٥٨ - ١٧٩٤)، ولويس أنطوان دى سان جوست (١٧٦٧ - ١٧٩٤)، مهندساً عهد الإرهاب (١٧٩٣ - ١٧٩٤) اللذان اعتبرا نفسيهما وكلاء لجان جاك روسو.

فى خطبة له فى مايو ١٧٩٤ شرع روبسبير يأخذ بثأر روسو من فلاسفة التنوير المتكلفين، الذين تكاتفوا لاضطهاده.

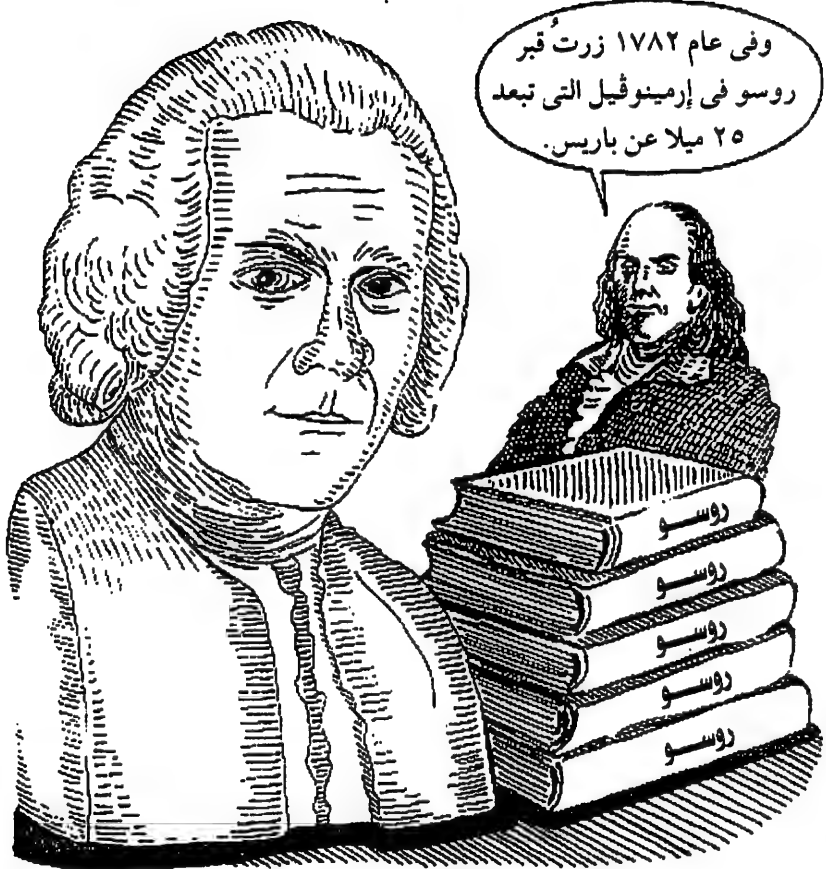


لقد كتب روسو عن الفضيلة بوصفها «العلم الجليل للروح البسيطة» وهو يفتح كتاب «إميل» بهذه الكلمات: «كل شيء حسن إذا ما ترك كما صنعه يد الخالق، وكل شيء تفسده يد الإنسان».

(١) سان جوست (١٧٦٧ - ١٧٩٤): أحد قادة الثورة الفرنسية كتب - دعماً للثورة - كتابه: «روح الثورة ودستور فرنسا» عام ١٧٩١، كان عضواً فى «لجنة الأمن العام» (١٧٩٣ - ١٧٩٤) وصديقا حميماً لروبسبير، قبض عليه معه وأعدموا بالجلولوتين - المقتلة. (الترجم)

تأليه جان چاك

بعد وفاة روسو - عام ١٧٧٨ - بقليل سرعان ما اكتسب روسو هالة الخلود وهو الذى كان يتحاشاه الكثيرون إبان حياته؛ وتم تشييد تمثال له فى جنيف، وفى عام ١٧٨١ جمعت مجموعة من الألحان التى كتبها روسو وأهدتها أرملته إلى ملجأ اللقطاء، وكان من بين المشاركين فى الاكتاب الملكة ماري أنطوانيت وبنيامين فرانكلين.



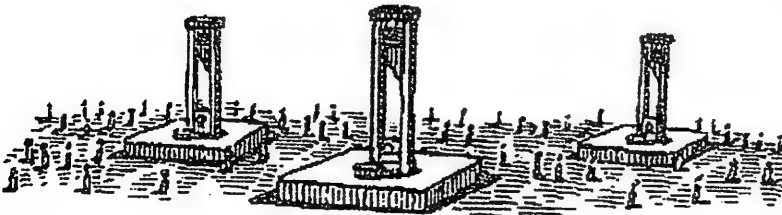
إيمان روسو بجنون العظمة واعتقاده فى الاضطهاد أثار حفيظة فلاسفة التنوير الفيورين . هذا الشعور جعل العديد من الكتاب يشعرون بالاغتراب ويعتقدون أنهم لم يقدروا من الهيئات الأدبية الباريسية ولقد أصبح روسو إلها عند أنصاف المتعلمين، وعلى وجه التحديد عند روبسبير وغيره من المتطرفين الراديكاليين. كان روسو إبان حياته هائما على وجهه، يعامل معاملة سيئة، يتجنبه الناس، ثم أصبح فجأة نبهم وسلواهم.

الجمهورية المثالية

بعد مرور عام على سقوط الباستيل - وفي أثناء الاحتفال بعيد ١٤ يوليو عام ١٧٩٠ -
 حُمِلَ تمثال نصفي لجان چاك روسو متوجاً بالغار، في استعراض في شوارع باريس
 تحمله وترعاه ٦٠٠ فتاة بالفساتين البيضاء وفرق من رجال الحرس أسلحتهم أكاليل من
 الزهور... وفي شهر أكتوبر نقل رفاته من إرمونفيل لكي يدشن في «البانثيون».. Pan-
 théon^(١).



امتزج العمل السياسي بالنقاش العام في عملية، على الرغم من أن فلاسفة التنوير لم
 يتنبأوا بها فإنها كانت من إلهامهم، إلا أن الحرب تهددت الثورة من الخارج، كما تهددتها
 من الداخل مطالب الفقراء الغاضبة. وسرعان ما أصبح كل مبدأ خاضعاً للبقاء القومي،
 وأدخلت الجمهورية مبدأ حق الانتخاب الديمقراطي، ففرضت ضوابط ثمينة على
 اهتمامات الفقراء؛ خاصة في المدن، وأطلقت العنان لعهد الإرهاب ضد «أعداء
 الجمهورية».



(١) ضريح خاص بعظماء الأمة في باريس. (المترجم)

إن عمل المشرع هو تشكيل الناس في الهيئة التي نريدهم عليها!

إننا موجودون في مؤسسة اليوتوبيا الأخلاقية.

الواطنة رولان

رويسير

دانشون

- 183 -

مشروع عصر التنوير: انتهى أم لا...؟

مبادئ عصر التنوير فى النظام والتقدم والثقة فى إمكان التحكم فى الطبيعة والتاريخ، والثقة فى الحس المشترك والطبيعة البشرية العامة يمكن أن يوضع على نحو يخلق تضليلاً فخوراً حقاً بل حتى خطراً. لقد رسم القرن التاسع عشر صورة كارىكاتورية لقضية المذهب الرومانسى والثورة، لقد شهد عصرنا - عصر ما بعد الحداثة - انهيار «الحكايات العظيمة» - حسب ما تقول الكلمات الشهيرة لجان فرانسوا ليونارد - التى دفنت المبادئ المكتسحة، هل انتهى مشروع عصر التنوير أم ليس بعد؟!

لقد مرت الثورة الفرنسية بتجارب عبر أوروبا بوصفها أعمق وأعظم أزمة عقلية وروحية، لقد حل صراع وانقسام محل الإحساس بالغرض المشترك الذى كان يتميز به مثقفو عصر التنوير، لقد كانت لحظة القطيعة روحية (ومنسجمة) فى المذهب الرومانسى (وفى فلسفة هيجل) لقد ناصر القرن التاسع عشر «الحكايات العظيمة» بمحاولاته إعادة خلق متصل للتقدم التدريجى، فى النماذج العلمية الجديدة للمذهب الوضعى، والمذهب الاشتراكى، والمذهب التطورى التى اعتقد حقاً أنها «حديثّة».

لقد عرفَ رجالات عصر التنوير أنفسهم بأنهم «محدثون» وكانوا أول من اكتشف بالتفصيل ماذا يعنى ذلك ، لقد كانت حداثتهم ساذجة فيها براءة الطفولة، ومن ثورة ١٧٨٩ إلى الثورات البيضاء عام ١٩٨٩ - عبر قرون الاستغلال والغزو الاستعماري - ظلت الحداثة متشابكة على نحو مؤلم بالدم والرعب، فلا عجب أن حاول المثقفون فى العقود الحديثة إعادة خلق الإحساس بالبراءة والمزاج بأن أطلقوا على أنفسهم اسم: «ما بعد الحداثة»..

«عصرنا ليس عصر استنارة، بل عصر المذهب الأصولى، والخرافة والكلية، كما أن الخوف - فيما يبدو - قد اكتسب أرضاً، لكننا مازلنا جميعاً أبناء لعصر التنوير، وربما كان موقفنا أكثر تعقيداً ومصادرنا العقلية أشد نقاءً لكننا نواجه أزمات ربما كانت مألوفة لشخص مثل ديدرو، أو شخص مثل فولتير أو روسو، ولكن أن يكون ديدرو وحده ومعه الآخرون على يقين من أن المرء يمكن أن يجرؤ على مواجهة الأسئلة والاعتماد على قدرات المرء على التأمل والتفكير، وأن يكون على استعداد لإعادة التفكير فى كل شىء».

Educational, Basingstoke 1990). Dena Goodman's *The Republic of Letters* (Cornell UP, Ithaca & London 1994) gives a cultural history of the French Enlightenment.

سير ذاتية

Diderot has two prize-winning biographies: by A.M. Wilson (Oxford UP, New York 1972) and P.N. Furbank (Secker & Warburg, London 1992). There are shorter biographies by Peter France (Oxford UP, Oxford 1983) and Otis Fellows (G.K. Hall, Boston, Mass. 1977), and a selection of Diderot's *Letters to Sophie Volland*, trans. Peter France (Oxford UP, Oxford 1972).

Gustave Lanson's *Voltaire* (1906) was reissued with an introduction by Peter Gay (John Wiley, New York & London 1966). A new short biography is H.T. Mason's *Voltaire, A Biography* (Granada, London 1981). Nancy Mitford's *Voltaire in Love* (Hamish Hamilton, London 1957) is a good way to get to know Voltaire's fascinating lover, Mme du Châtelet.

The best biography of Rousseau is by Maurice Cranston, in 3 vols.: *Jean-Jacques; Noble Savage; The Solitary Self* (Allen Lane, London 1987, 1991, 1997 respectively). Mark Hulliung's *Autocritique of the Enlightenment: Rousseau and the Philosophes* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1994) is a brilliant study. *Rousseau* by Robert Wokler (Oxford UP, Oxford 1995) is also excellent. The essay on Rousseau in Paul Johnson's book *Intellectuals* (Weidenfeld & Nicholson, London 1988) is worth reading.

Montesquieu: a Critical Biography by R. Shackleton (Oxford UP, Oxford 1969) remains a classic. *D'Holbach's Circle: an Enlightenment in Paris* (Princeton UP 1977) shows the group that supported the most radical atheist of the age.

The Life of David Hume by E.C. Mossner (Clarendon Press, Oxford 1980) is the standard biography. *Wealth and Virtue: the Shaping of Classical Political Economy in the Scottish Enlightenment*, ed. M. Ignatieff & I. Hont (Cambridge UP, Cambridge 1983) surveys the Scottish Enlightenment. Michael Ignatieff's *The Needs of Strangers* (Chatto & Windus, London 1984) has fascinating chapters on Hume and Boswell, and on Smith and Rousseau.

تأويل وإعادة تأويل

There is much literature on the sociology of the period. Jürgen Habermas' study of the republic of letters in *The Structural Transformation of the Public Sphere* (Polity Press, Cambridge 1989) has inspired many commentaries and historical studies of intellectual life in the period. The sociology of intellectual circles is covered in Lewis Coser's *Men of Ideas* (Macmillan, London & The Free Press, New York 1970) and in the more detailed study by Robert Wuthnow, *Communities of Discourse: Ideology and Social Structure in the Reformation, the Enlightenment, and European Socialism* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1989).

Robert Darnton's books on the life of the mind and the circulation of ideas in the Ancien Régime include: *The Business of Enlightenment: a Publishing History of the Encyclopédie 1775-1800* (Belknap, Cambridge, Mass. & London 1979), *The Great Cat Massacre* (Penguin, Harmondsworth 1985), *The Literary Underground of the Old Regime* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London

1982), *Mesmerism and the End of the Enlightenment in France* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1968), and *The Forbidden Best-Sellers of Pre-Revolutionary France* (HarperCollins, London 1996).

A readable history of the French Revolution is Simon Schama's *Citizens: A Chronicle of the French Revolution* (Knopf, New York & Penguin, London 1989). Hannah Arendt's *On Revolution* (Penguin, Harmondsworth 1973) contains brilliant studies of the American and French revolutions from what might be termed an "Enlightenment" perspective.

The Dialectic of Enlightenment (1947) by Theodor Adorno & Max Horkheimer (Herder & Herder, New York 1972 & Allen Lane, London 1973) considers the dark side of the Enlightenment legacy. Max Horkheimer's essay "Some Remarks on Enlightenment" (1947), translated in *Theory, Culture & Society*, vol. 10 (SAGE Publications, London 1993) summarizes what Adorno and Horkheimer saw as "self-defeating" processes of Enlightenment. These themes are reconsidered in Zygmunt Bauman's *Legislators and Interpreters* (Polity Press, Cambridge & Cornell UP, Ithaca 1987) and *Modernity and Ambivalence* (Polity Press, Cambridge 1991). The contemporary legacy of the Enlightenment lies behind *The Philosophical Discourse of Modernity* by Jürgen Habermas (MIT Press, Cambridge, Mass. 1987 & Polity Press, Cambridge 1990). In his essay "What is Enlightenment?" in *The Foucault Reader* (Pantheon, New York 1984 & Penguin, Harmondsworth 1991) Michel Foucault engages with the contemporary relevance of Kant's famous essay.

لقد كانت المسألة المركزية فى الفلسفة والفكر النقدى منذ القرن الثامن عشر هى على الدوام: ما هذا العقل الذى نستخدمه؟ وما نتائجها التاريخية؟ وما حدوده، وما مخاطره؟

ميشيل فوكو فى مقابلة « المكان، والمعرفة، والقوة » (عام ١٩٨٢).
المنظر الاجتماعى الألمانى «يورين هابرماس» ربما كان أفصح مَنْ دافع عن الصلة المعاصرة بمشروع عصر التنوير.

«لا يزال لمفكرى عصر التنوير التوقعات المبالغ فيها، التى تقول إن الفنون والعلوم لن تروج فقط للسيطرة على القوى الطبيعية، بل سوف تفهم أبعد من ذلك السيطرة على العالم وعلى الذات، والتقدم الأخلاقى، وعدالة المؤسسات، بل حتى سعادة الموجودات البشرية، ولقد بعثر القرن العشرون هذا التفاؤل... أينبغى علينا أن نتمسك بنوايا عصر التنوير ومقاصده حتى ولو كانت ضعيفة كما هى - أم ينبغى علينا أن نعلن أن مشروع الحدائنة برمته هو قضية خاسرة؟».

هابرماس «الحدائنة فى مواجهة ما بعد الحدائنة».
فى «النقد اليسارى الجديد» ٢٢ (شتاء عام ١٩٨١).

عالم الاجتماع المولود فى بولندا زيجمونت بومان هو واحد من كثير من المفكرين المعاصرين الذين حذروا من التسرع فى التوحد مع آمال عصر التنوير وتطلعاته، لقد رأى بومان أن «الحدائنة» هى تاريخ طويل لاتجاه فكرى مكافح بين المثقفين عبرَ عن دعوهم عن قدرتهم للتشريع للمجتمع ككل، وبذلك حل المشكلات التى أثارته الحدائنة، (مثل نمو المجتمع المجرأ التجارى والتكنولوجى). لقد رأى بومان البحث عن «حلول» وغطرسة المشرعين العقلين على أنها متضمنة فى كثير من ألوان الرعب الموجودة فى الحدائنة بما فى ذلك القتل الجماعى، وفى رأى بومان أن ما هو إيجابى فى الانتقال إلى «ما بعد الحدائنة» هو الاعتراف بأنها تجسد أن علينا أن نتعلم أن نعيش مع التغير الاجتماعى، ومع المشكلات الاجتماعية، وأن المثقفين فى استطاعتهم أن يلعبوا دوراً أكثر تواضعاً لكنه أكثر فائدة كمفسرين لعالمنا المرتبك والمربك.

فى استطاعتنا أن نتصالح وأن نكون أصدقاء مع عصر التنوير، فتأملات ما بعد الحداثة الجذرية أعادتنا إلى عصر التنوير الذى نستطيع أن نتعرف فيه على الأسس نفسها التى تجعلنا نفهم العالم، فهو - كعصرنا - عصر انحلت فيه ألوان اليقين والاستقرار طويل الأمد، إننا نحتاج إلى نماذجه، فكما أن مفكرى عصر التنوير احتاجوا إلى الرومان المحبين لديهم من أمثال شيشرون وسينكا، وكما أنهم ناضلوا لإعادة فهم العالم بمصطلحات دنيوية فإن رجالاً من أمثال ديدرو قد خلبهم آخر المفكرين الوثنيين العظام فى سنوات «اضحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» وكما لاحظ مونتسكيو فقد كان القدماء «كتباً حية» فقد عرفوا التاريخ، فى حين أن المحدثين امتلكوا التاريخ فحسب.

مراجع

Translations of the major works of the Enlightenment are readily available: Diderot's *Rameau's Nephew* and *This is Not a Story* (Oxford UP, Oxford & New York 1993); his *Selected Writings on Art and Literature*; Voltaire's *Letters on England* and *Candide* (Oxford UP, Oxford & New York 1990); Rousseau's *Reveries of a Solitary Walker* and *Discourses*; Montesquieu's *Persian Letters*; Hume's *Selected Essays* (Oxford UP, Oxford & New York 1993). (All Penguin UK/Viking USA except the three OUP titles listed above.)

مختارات

There are many anthologies of Enlightenment writings. My favourite is *The Portable Enlightenment*, ed. I. Kramnick (Penguin/Viking 1995); also *The Age of Enlightenment*, ed. L. Crocker (Macmillan, London 1969); *The Age of Enlightenment*, 2 vols., ed. S. Eliot, B. Stern (Open UP, London 1979); *The Age of Enlightenment*, ed. I. Berlin (Oxford UP, Oxford & New York 1979).

أعمال عامة

Peter Gay's *The Enlightenment, an Interpretation* (1969) is a treat (reissued by W.W. Norton, New York 1996: vol. 1, *The Rise of Modern Paganism*; vol. 2, *The Science of Freedom*). Ernst Cassirer's *The Philosophy of the Enlightenment* (1932) is a highly readable classic (Princeton UP, 1969). Norman Hampson's *The Enlightenment* (Penguin, Harmondsworth 1968) gives a clear insight into changes in scientific, social and political thought. There are still many surprises in Paul Hazard's *The European Mind 1680-1715* and *European Thought in the Eighteenth Century* (both Penguin, Harmondsworth 1968). Insights on recent scholarship are offered by Dorinda Outram, *The Enlightenment* (Cambridge UP,

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	١- اللغة العليا
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	٢- الوثنية والإسلام (ط١)
شوقى جلال	جودج جيمس	٣- التراث المسروق
أحمد الحضرى	انجا كاريتنيكوفا	٤- كيف تتم كتابة السيناريو
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	٥- ثريا فى غيبوبة
سعد مصلوح ووفاء كامل فايد	ميلكا إفيتش	٦- اتجاهات البحث اللسانى
يوسف الأنطكى	لوسيان غولدمان	٧- العلوم الإنسانية والفلسفة
مصطفى ماهر	ماكس فريش	٨- مشعلو الحرائق
محمود محمد عاشور	أندرو. س. جودى	٩- التغيرات البيئية
محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى	چيرار چينيت	١٠- خطاب الحكاية
هناء عبد الفتاح	فيسوفا شيمبوريسكا	١١- مختارات شعرية
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	١٢- طريق الحرير
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميت	١٣- ديانة الساميين
حسن المودن	جان بيلمان نويل	١٤- التحليل النفسى للأدب
أشرف رقيق عفيفى	إدوارد لوسى سميت	١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥
إلشراف: أحمد عثمان	مارتن برنال	١٦- أثينة السوداء (ج١)
محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	١٧- مختارات شعرية
طلعت شاهين	مختارات	١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية
نعيم عطية	جودج سفيريس	١٩- الأعمال الشعرية الكاملة
يمنى طريف الخولى وبدوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	٢٠- قصة العلم
ماجدة العنانى	صمد بهرنجى	٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى
سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين
سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	٢٣- تجلى الجميل
بكر عباس	باتريك بارنر	٢٤- ظلال المستقبل
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومى	٢٥- مثنوى
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	٢٦- دين مصر العام
إلشراف: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	٢٧- التنوع البشرى الخلاق
منى أبو سنة	جون لوك	٢٨- رسالة فى التسامح
بدر الديب	جيمس ب. كارس	٢٩- الموت والوجود
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)
عبد الستار الطوجى وعبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روب	٣٢- الانقراض
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هويكنز	٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية
حصه إبراهيم المنيف	روجر آلن	٣٤- الرواية العربية
خليل كلفت	بول ب. ديكسون	٣٥- الأسطورة والحداثة
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	٣٦- نظريات السرد الحديثة

٢٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٢٨-	نقد الحداثة	ألن تودين	أنور مغيث
٢٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	أن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين ياربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المقدور	روبرت دينيا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	ه . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنلكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ . م . بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التديعى	ب . نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى قطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	ا . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصنيلى
٥٥-	ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونيث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتن	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهري
٦٢-	لذة النص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتن راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أولال القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبريجت	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فرو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لكان واغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكويتية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	يوريس أوسينسكي	سعيد الفانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الفهمي
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شحبة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتقريب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جينتز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	السرحد والتجريب بين النظرية والتطبيق	باريرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب بشارين المسرح الإسباني المعاصر	كارلوس ميغيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويزو بايخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنيقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إيوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساغة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أويرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شيبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعور
١٠٧-	صدرة اللسانى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنه بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسيس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

- ١١٣- راية التمرد سادى پلانت أحمد حسان
- ١١٤- مسرحيات حصاد كرنجى وسكان المستقع وول شوينكا نسيم مجلى
- ١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرچينيا وولف سميه رمضان
- ١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون نهاد أحمد سالم
- ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد منى إبراهيم وهالة كمال
- ١١٨- النهضة النسائية فى مصر بى بارون لميس النقاش
- ١١٩- النساء والامرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل بإشراف: روف عباس
- ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد مجموعة من المترجمين
- ١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى محمد الجندى وإيزابيل كمال
- ١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان جوزيف فوجت منيرة كروان
- ١٢٣- الإمبراطورية العشائية وعلاقاتها الدولية أنيثل الكسندرو فنابولينا أنور محمد إبراهيم
- ١٢٤- الفجر الكائيب: أوهام الراسمالية العالمية جون جراى أحمد فؤاد بلبع
- ١٢٥- التحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديشى سمحة الخولى
- ١٢٦- فعل القراءة فولفانج إيسر عبد الوهاب علوب
- ١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى بشير السباعى
- ١٢٨- الأدب المقارن سوزان باسنيت أميرة حسن نوييرة
- ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروتة محمد أبو العطا وآخرون
- ١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندرا فرانك شوقى جلال
- ١٣١- مصر القيمة التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين لويس بقطر
- ١٣٢- ثقافة العولة مايك فينرستون عبد الوهاب علوب
- ١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على طلعت الشايب
- ١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب أحمد محمود
- ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت ماهر شفيق فريد
- ١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كوني سحر توفيق
- ١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه كاميليا صبحى
- ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان وجيه سمعان عبد المسيح
- ١٣٩- باريسفالى (مسرحية) ريتشارد فاچنر مصطفى ماهر
- ١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هيربرت ميسن أمل الجبورى
- ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين نعيم عطية
- ١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر حسن بيومى
- ١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر عدلى السمرى
- ١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولدوني سلامة محمد سليمان
- ١٤٥- موت أرتيميد كروث (رواية) كارلوس فوينتس أحمد حسان
- ١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميجيل دى ليبس على عبدالرؤف البيمى
- ١٤٧- مسرحيتان تانكريد نورست عبدالغفار مكارى
- ١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكي أندرسون إميرت على إبراهيم منوفى
- ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأبونيس عاطف فضول أنسامة إسبر
- ١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليمان منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣- غرام الفراغة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمساني
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكتجوى	عبدالعزیز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٩- الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحي
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومي
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسوي	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	جان لاکوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات العنكب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصايدة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- في عالم طاغور	رايندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أنبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم نيتتيرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصه إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- الله الأبى الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوة (شعر)	و.ب. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحي العشري
١٨٤- القاهرة: حالة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقي سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرض (رواية)	بُرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرتان	بدر الديب

- ١٨٩- العسى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر پول دى مان سعيد الفانمى
- ١٩٠- محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس محسن سيد فرجاني
- ١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى الحاج أبو بكر إمام وآخرون مصطفى حجازي السيد
- ١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ١٩٣- عامل المنجم (رواية) بيتر أبراهامز محمد عيد الواحد محمد
- ١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث مجموعة من النقاد ماهر شفيق فريد
- ١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية) إسماعيل فصيح محمد علاء الدين منصور
- ١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية) فالنتين راسبوتين أشرف الصباغ
- ١٩٧- سيرة الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى جلال السعيد الحفناوى
- ١٩٨- الاتصال الجماهيرى إديون إمرى وآخرون إبراهيم سلامة إبراهيم
- ١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندان جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل جيرمى سيبروك فخرى لبيب
- ٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة جوزايا روس أحمد الأنصارى
- ٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢) رينيه ويليك مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٢٠٣- الشعر والشاعرية أطفاف حسين حالى جلال السعيد الحفناوى
- ٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم زلمان شازار أحمد هويدى
- ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات لويجي لوقا كافالى- سفورزا أحمد مستجير
- ٢٠٦- الهيوالية تصنع علماً جديداً جيمس جلايك على يوسف على
- ٢٠٧- ليل أفريقى (رواية) رامون خوتاسندير محمد أبو العطا
- ٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوريان محمد أحمد صالح
- ٢٠٩- السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر) سنائى الغزنوى يوسف عبد الفتاح فرج
- ٢١١- فرديناند توسوسير جوناثان كلار محمود حمدي عبد الغنى
- ٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان مرزيان بن رستم بن شروين يوسف عبد الفتاح فرج
- ٢١٣- مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر ريمون فلاور سيد أحمد على الناصرى
- ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جينينز محمد محيى الدين
- ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٧- مسرحيتان طبيعيتان صمويل بيكيت وهارولد بينتر نادية البنهاوى
- ٢١٨- لعبة الحجلة (رواية) خوايو كورتاثان على إبراهيم منوفى
- ٢١٩- بقايا اليوم (رواية) كانزو إيشجورو طلعت الشايب
- ٢٢٠- الهيوالية فى الكون بارى باركر على يوسف على
- ٢٢١- شعرية كفافى جريجورى جوزدانييس رفعت سلام
- ٢٢٢- فرانز كافكا رونالد جراى نسيم مجلى
- ٢٢٣- العلم فى مجتمع حر بول فيرابند السيد محمد نقادى
- ٢٢٤- دمار يوغسلافيا برانكا ماجاس منى عبدالظاهر إبراهيم
- ٢٢٥- حكاية غريق (رواية) جابريل جارشيا ماركيث السيد عبدالظاهر السيد
- ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى ديفيد هريت لورانس طاهر محمد على البريرى

- ٢٢٧- المسرح الإيباتى فى القرن السابع عشر خوسيه ماريا ديث بوركى
- ٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن جانيت وولف
- ٢٢٩- مآزق البطل الوحيد نورمان كيجان
- ٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر فرانسواز جاكوب
- ٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) خايمى سالوم بيدال
- ٢٣٢- ما بعد المعلومات توم ستونير
- ٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى آرثر هيرمان
- ٢٣٤- الإسلام فى السودان ج. سينسر تريمجهام
- ٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (ج١) مولانا جلال الدين الرومى
- ٢٣٦- الولاية ميشيل شوبكفيتش
- ٢٣٧- مصر أرض الوادى رويين فيدين
- ٢٣٨- العولة والتحرير تقرير لمنظمة الأنكاد
- ٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى جيلا رامراز - رايرخ
- ٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار كاي حافظ
- ٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية) ج. م. كوتزى
- ٢٤٢- سبعة أنماط من الفوضى وإيام إمبسون
- ٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) ليفى بروفنسال
- ٢٤٤- الغليان (رواية) لاورا إسكييل
- ٢٤٥- نساء مقاتلات إليزابيتا أنيس وآخرون
- ٢٤٦- مختارات قصصية جابرييل جارشيا ماركيث
- ٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحدث فى مصر والتر أرميرست
- ٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية) أنطونيو جالا
- ٢٤٩- لغة التمزق (شعر) دراجو شتامبوك
- ٢٥٠- علم اجتماع العلوم بومنيك فيتك
- ٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) جوردون مارشال
- ٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية مارجو بدران
- ٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية ل. أ. سيمينوفا
- ٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة ديف روينسون وجودى جروفز
- ٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون ديف روينسون وجودى جروفز
- ٢٥٦- أقدم لك: ديكارت ديف روينسون وكريس جارات
- ٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة وإيم كلى رايت
- ٢٥٨- الفجر سير أنجوس فريز
- ٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور نخبة
- ٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) جوردون مارشال
- ٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود زكى نجيب محمود
- ٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية) إيناردو مندوتا
- ٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن چون جرين
- ٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة هوراس وشللى
- السيد عبدالظاهر عبدالله
- مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
- أمير إبراهيم العمرى
- مصطفى إبراهيم فهمى
- جمال عبدالرحمن
- مصطفى إبراهيم فهمى
- طلعت الشايب
- فؤاد محمد عكود
- إبراهيم الدسوقي شتا
- أحمد الطيب
- عنايات حسين طلعت
- ياسر محمد جادالله وعربى مديولى أحمد
- نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
- صلاح محجوب إدريس
- ابتناسم عبدالله
- صبرى محمد حسن
- بإشراف: صلاح فضل
- نادية جمال الدين محمد
- توفيق على منصور
- على إبراهيم منوفى
- محمد طارق الشرقاوى
- عبداللطيف عبدالحميد
- رفعت سلام
- ماجدة محسن أباطة
- بإشراف: محمد الجوهري
- على بدران
- حسن بيومى
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمود سيد أحمد
- عبادة كُحيلة
- فاروجان كانانجيان
- بإشراف: محمد الجوهري
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمد أبو العطا
- على يوسف على
- لويس عوض

- ٢٦٥- روايات مترجمة أوسكار وايلد وصمويل جونسون
 ٢٦٦- مدير المدرسة (رواية) جلال آل أحمد
 ٢٦٧- فن الرواية ميلان كونديرا
 ٢٦٨- ديوان شمس تبریزی (ج٢) مولانا جلال الدين الرومي
 ٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١) وليم جيفور بالجريف
 ٢٧٠- وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢) وليم جيفور بالجريف
 ٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ توماس سى، باترسون
 ٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر سى. سى، والترز
 ٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة هراى فى مصر جوان كول
 ٢٧٤- السيدة باريارا (رواية) رومولو جاييجوس
 ٢٧٥- ه. س. إليوت شاعرًا ونقادًا وكاتبًا مسرحيًا مجموعة من النقاد
 ٢٧٦- فنون السينما مجموعة من المؤلفين
 ٢٧٧- الجينات والصراع من أجل الحياة براين فورد
 ٢٧٨- البدايات إسحاق عظيموف
 ٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية ف. س. سوندرز
 ٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى بريم شند وآخرون
 ٢٨١- القديس الأعلى (رواية) عبد الحليم شرر
 ٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية لويس وولبرت
 ٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى خوان رولفو
 ٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية) يوربيديس
 ٢٨٥- رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى حسن نظامى الدهلوى
 ٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغى
 ٢٨٧- الثقافة والعولة والنظام العالمى أنتونى كنج
 ٢٨٨- الفن الروائى ديفيد لودج
 ٢٨٩- ديوان منوچهرى الدامغانى أبو نجم أحمد بن قوص
 ٢٩٠- علم اللغة والترجمة جورج مونان
 ٢٩١- تاريخ المسرح الإشباني فى القرن العشرين (ج١) فرانثيسكو رويس رامون
 ٢٩٢- تاريخ المسرح الإشباني فى القرن العشرين (ج٢) فرانثيسكو رويس رامون
 ٢٩٣- مقدمة للآداب العربى روجر آلن
 ٢٩٤- فن الشعر بوالو
 ٢٩٥- سلطان الأسطورة جوزيف كامبل وبيل موريز
 ٢٩٦- مكبث (مسرحية) وليم شكسبير
 ٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية نيونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى
 ٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى نخبة
 ٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية جين ماركس
 ٣٠٠- أسطورة يوريفيس فى التراجيديات الإغريقية والفارسية (ج١) لويس عوض
 ٣٠١- أسطورة يوريفيس فى التراجيديات الإغريقية والفارسية (ج٢) لويس عوض
 ٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين جون هيتون وجوى جروفز
- لويس عوض
 عادل عبدالمنعم على
 بدر الدين عرودى
 إبراهيم الدسوقي شتا
 صبرى محمد حسن
 صبرى محمد حسن
 شوقى جلال
 إبراهيم سلامة إبراهيم
 عنان الشهاوى
 محمود على مكى
 ماهر شفيق فريد
 عبدالقادر التلمسانى
 أحمد فوزى
 ظريف عبدالله
 طلعت الشايب
 سمير عبدالحميد إبراهيم
 جلال الحفناوى
 سمير حنا صادق
 على عبد الرزاق اليمبى
 أحمد عثمان
 سمير عبد الحميد إبراهيم
 محمود علاوى
 محمد يحيى وآخرون
 ماهر البطوطى
 محمد نور الدين عبدالمنعم
 أحمد زكريا إبراهيم
 السيد عبد الظاهر
 السيد عبد الظاهر
 مجدى توفيق وآخرون
 رجاء ياقوت
 بدر الدين
 محمد مصطفى بدوى
 ماجدة محمد أنور
 مصطفى حجازى السيد
 هاشم أحمد محمد
 جمال الجزيرى وبهاء جامين وإيزابيل كمال
 جمال الجزيرى و محمد الجندى
 إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣-	أقدم لك: يوزا	جين هوب ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	چان فرانساو ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد باينزو وهوارد سلينا	محمود مكي
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز ويورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال في المنهج الفلسفي	ر.ج كولنچود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديويوس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خاير بيان	محمد عبدالله الجعدي
٣١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٣١٥-	جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٣١٦-	محاكمة سقراط	أي، ف، ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	س، شير لايموفا- س، زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايتري اسبيفاك وكريستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفي بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	دبليو يوجين كلينباور	خالد مقلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدي	محمود علاوي
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب يوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (ج١)	نخبة	توفيق علي منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	سامي صلاح
٣٣١-	عندما جاء السريدين وقصص أخرى	ستيفن جراي	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	علي إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالي ساروت	فتحى العشري
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب في إيران (ج٢)	إنوار براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيريروجلو	فخرى لبيب

حسن حلمي	راينر ماريا رلكه (شعر)	٣٤١-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبدالرحمن الجامي	٣٤٢-
سمير عبد ربه	نادين جورديمر	٣٤٣-
سمير عبد ربه	بيتر بالانجيو	٣٤٤-
يوسف عبد الفتاح فرج	بونه ندائى	٣٤٥-
جمال الجزيرى	رشاد رشدى	٣٤٦-
بكر الحلو	جان كوكتو	٣٤٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلى	٣٤٨-
أحمد عمر شاهين	آرثر والدهورن وآخرون	٣٤٩-
عطية شحاتة	مجموعة من المؤلفين	٣٥٠-
أحمد الانصارى	جوزايا رويس	٣٥١-
نعيم عطية	قسطنطين كفافيس	٣٥٢-
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونادو	٣٥٣-
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونادو	٣٥٤-
محمود علاوى	حجت مرتجى	٣٥٥-
بدر الرفاعى	بول سالم	٣٥٦-
عمر الفاروق عمر	تيموثى فريك وييتز غاندى	٣٥٧-
مصطفى حجازى السيد	نخبة	٣٥٨-
حبيب الشارونى	أفلاطون	٣٥٩-
ليلى الشربيني	أندريه جاكوب ونويلا باركان	٣٦٠-
عاطف معتمد وأمال شاور	آلان جرينجر	٣٦١-
سيد أحمد فتح الله	هاينرش شيبورل	٣٦٢-
صبرى محمد حسن	ريتشارد جيبسون	٣٦٣-
نجلاء أبو عجاج	إسماعيل سراج الدين	٣٦٤-
محمد أحمد حمد	شارل بودليير	٣٦٥-
مصطفى محمود محمد	كلاريسا بنكولا	٣٦٦-
البراق عبدالهادى رضا	مجموعة من المؤلفين	٣٦٧-
عابد خزندار	جيرالد برنس	٣٦٨-
فوزية العشماوى	فوزية العشماوى	٣٦٩-
فاطمة عبدالله محمود	كليلا لويت	٣٧٠-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلى	٣٧١-
وحيد السعيد عبدالحميد	وانغ مينغ	٣٧٢-
على إبراهيم منوفى	أومبرتو إيكو	٣٧٣-
حمادة إبراهيم	أندريه شديد	٣٧٤-
خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	٣٧٥-
إنوار الخراط	جان أنوى وآخرون	٣٧٦-
محمد علاء الدين منصور	إنوارد براون	٣٧٧-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد إقبال	٣٧٨-

جمال عبدالرحمن	سنيل باث	٢٧٩- ملك في الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جونتر جراس	٢٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادى	بهاء الدين محمد إسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد على بهزاداد	٢٨٥- مشترى العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوى
بهاء چاهين	جون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٢٨٨- مواظ سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. فى. روبرتس	٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى
منى الدروبي	مايف بينشى	٢٩١- الحافلة الليكسية (رواية)
عبداللطيف عبدالطيم	فرناندو دى لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيرى	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣- فى قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- آلام سياوش (رواية)
محمود علاوى	تقى نجارى راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتى شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٢٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	٢٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زياوون ساردر وآخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكينج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- رية المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة إبراهيم	أندريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	يوتراوند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغورة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينييفر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
بإشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوفيا	٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش نورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردنز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزهر الحاكمة في مصر الشامية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسليم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميخاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاروس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزائن الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سينسر وأندرجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندرجى كليوفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابري
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زيريرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كويلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبللى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبيرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروتستاد	محمد طارق الشراقوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاني
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستنغ	محمد طارق الشراقوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	الكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبد المنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبد المنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريببكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزيرون ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجيتانزى وأوسكار زاريت	محبي الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مجه)	فردريك كويلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	المورييسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود ولينزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجوى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزمع إلى السوريين	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	البولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلعة	مايكل بارنتى	حصه إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزيرج	جمال الرقاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولن فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفن ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا زويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرزاق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثريانتس سايدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثريانتس سايدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحباب بعيدة: بيرم التونسي	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج ولى شى دونج	عبد العزيز حمدي
٤٧٩-	المقهى (مسرحية)	لاوشه	عبد العزيز حمدي
٤٨٠-	تساي ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدي
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التقى	هانسن رويبرت ياوس	رشيد بنحو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالطيم عبدالفتى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسْرُل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هُسْرُل	محمود رجب
٤٩٠-	أسماء البيغاء	محمد قادري	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأثري	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

- ٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات هارولد بالمر
- ٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار نصوص مصرية قديمة
- ٤٩٥- اللوى إدوارد تيفان
- ٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج١) إكوانو بانولى
- ٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط نادية العلى
- ٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث جوديث تاكر ومارجريت مريودز
- ٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع مجموعة من المؤلفين
- ٥٠٠- فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية تيتز رووكى
- ٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (ج١) آرثر جولد هامر
- ٥٠٢- أصوات بديلة مجموعة من المؤلفين
- ٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسي الحديث نخبة من الشعراء
- ٥٠٤- كتابات أساسية (ج١) مارتن هايدجر
- ٥٠٥- كتابات أساسية (ج٢) مارتن هايدجر
- ٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية) آن تيلر
- ٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية) بيتر شيفر
- ٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى عبدالباقى جلبنارلى
- ٥٠٩- الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المالك أدم صيرة
- ٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية) كارلو جولدونى
- ٥١١- كوكب مرقع (رواية) آن تيلر
- ٥١٢- كتابة النقد السينمائى تيموثى كوريجان
- ٥١٣- العلم الجسور تيد أنتون
- ٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية چونثان كولر
- ٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة فنوى مالطى دوجلاس
- ٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان آرنولد واشنطن ودونا باوندى
- ٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى نخبة
- ٥١٨- استكشاف الأرض والكون إسحق عظيموف
- ٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة جوزايا رويس
- ٥٢٠- الولوج الفرنسى بمصر من العلم إلى المشروع أحمد يوسف
- ٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة آرثر جولد سميث
- ٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها أميركو كاسترو
- ٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن ياسيليو بابون مالدونانو
- ٥٢٤- الملك لير (مسرحية) وليم شكسبير
- ٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى دنيس جونسون
- ٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية ستيفن كروى ووليم رانكين
- ٥٢٧- أقدم لك: كافكا ديفيد زين ميروفيتس وروبرت كرمب
- ٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية طارق على وفل إيفانز
- ٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى محمد إقبال
- ٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية رينيه جيرو
- محمد صالح الضالع
- شريف الصيفى
- حسن عبد ربه المصرى
- مجموعة من المترجمين
- مصطفى رياض
- أحمد على بدوى
- فيصل بن خضراء
- طلعت الشايب
- سحر فراج
- هالة كمال
- محمد نور الدين عبدالمنعم
- إسماعيل المصدق
- إسماعيل المصدق
- عبد الحميد فهمى الجمال
- شوقى فهم
- عبدالله أحمد إبراهيم
- قاسم عبده قاسم
- عبدالرازق عيد
- عبد الحميد فهمى الجمال
- جمال عبد الناصر
- مصطفى إبراهيم فهمى
- مصطفى بيومى عبد السلام
- فنوى مالطى دوجلاس
- صبرى محمد حسن
- سمير عبد الحميد إبراهيم
- هاشم أحمد محمد
- أحمد الأنصارى
- أمل الصبان
- عبدالوهاب بكر
- على إبراهيم منوفى
- على إبراهيم منوفى
- محمد مصطفى بدوى
- نادية رفعت
- محيى الدين مزيد
- جمال الجزيرى
- جمال الجزيرى
- حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
- عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢-	المغامر والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣-	تلم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشراوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيثرين لوبا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزیز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالقار مكاوي
٥٣٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانييلز	محمد الحديدي
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رؤف عباس
٥٤١-	هي تتخيل وهلاس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبد القادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلاني كلابين	روبرت هنتشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سياق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودي وأن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزيرن ويون فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كويلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم ويبيرو	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثريانتس	على عبد الرؤف البعبي
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناثولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصر الدين الجبالي
٥٥٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين سارداروبورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاتينتو بيناينيتي	صبرى محمد التهامي
٥٦٤-	عش الغريب (مسرحية)	خاتينتو بيناينيتي	صبرى محمد التهامي
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبد الحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصول في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١-	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب في زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤-	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥-	الاقتصاد السياسي للعولة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وچودي جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف البولية (مج ١)	جون فيزر وبول سترجز	ياشراف: محمد فتحي عبدالهادي
٥٨١-	الحققي يموتون (رواية)	ماريو بونز	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود نوات أبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالكموس وروى أرمنز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدي
٥٨٨-	أمنوتوب الثالث	أنيس كابرول	ماهر جويجاتي
٥٨٩-	تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس دييوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١-	الشاعر والفكر	هوراتيوس	على عبدالنواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (ج ١)	محمد صبري السوربوني	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزي
٥٩٥-	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج ٢)	إكوانو بانولي	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية في العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروياروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهري	محمود علاوي
٦٠٠-	الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢-	ليوتارتحو فلسفة ما بعد حداثة	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزیز
٦٠٣-	النقد الثقافي	أرثر أيزنبرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكي (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦-	قصة البردي اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدني

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (ج١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (ج٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوشمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيدولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير (رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٩	أليس بيسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبي	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	الثوية المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوار جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولا جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكرويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التبثيث والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولنده	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرقاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ودين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أناكومينينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وويورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدرايادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د. تيرنر	فتح الله الشينغ

عبد الوهاب علوب	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	٦٤٥-
عبد الوهاب علوب	سيهر ذبيح	قصة الثورة الإيرانية	٦٤٦-
فتحي العشري	جون نينيه	رسائل من مصر	٦٤٧-
خليل كلفت	بياتريث سارلو	بورخيس	٦٤٨-
سحر يوسف	جى دى موياسان	الخوف وقصص خرافية أخرى	٦٤٩-
عبد الوهاب علوب	روجر أوين	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	٦٥٠-
أمل الصبان	وثائق قديمة	ديليسيبس الذي لا نعرفه	٦٥١-
حسن نصر الدين	كلود ترونكر	آلهة مصر القديمة	٦٥٢-
سمير جريس	إيريش كستتر	مدرسة الطغاة (مسرحية)	٦٥٣-
عبد الرحمن الخميسي	نصوص قديمة	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	٦٥٤-
حليم طوسون ومحمود ماهر طه	إيزابيل فرانكو	أساطير وآلهة	٦٥٥-
ممدوح البستاوى	ألفونسو ساسترى	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	٦٥٦-
خالد عباس	مرثيديس غارثيا أرينال	محاكم التفقيش والموريسكيون	٦٥٧-
صبرى التهامى	خوان رامون خيمينيث	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	٦٥٨-
عبد اللطيف عبد الحليم	نخبة	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	٦٥٩-
هاشم أحمد محمد	ريتشارد فايفيلد	نافذة على أحدث العلوم	٦٦٠-
صبرى التهامى	نخبة	روائع أندلسية إسلامية	٦٦١-
صبرى التهامى	داسو سالديبار	رحلة إلى الجنور	٦٦٢-
أحمد شافعى	ليوسيل كليفتون	امراة عادية	٦٦٣-
عصام زكريا	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	الرجل على الشاشة	٦٦٤-
هاشم أحمد محمد	بول دافيز	عوالم أخرى	٦٦٥-
جمال عبد الناصر ومدحت الجبار وجمال جاد الرب	وولفجانج اتش كلين	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	٦٦٦-
على ليلة	ألغن جولدنر	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	٦٦٧-
ليلى الجبالى	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ثقافات العولة	٦٦٨-
نسيم مجلى	وول شوينكا	ثلاث مسرحيات	٦٦٩-
ماهر البطوطى	جوستاف أدولفو بكر	أشعار جوستاف أدولفو	٦٧٠-
على عبدالأمير صالح	جيمس بولوين	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	٦٧١-
إبتهال سالم	نخبة	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	٦٧٢-
جلال الحفناوى	محمد إقبال	ضرب الكليم (شعر)	٦٧٣-
محمد علاء الدين منصور	آية الله العظمى الخمينى	ديوان الإمام الخمينى	٦٧٤-
بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، مج١)	٦٧٥-
بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، مج٢)	٦٧٦-
أحمد كمال الدين حلمى	إدوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، مج١)	٦٧٧-
أحمد كمال الدين حلمى	إدوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، مج٢)	٦٧٨-
توفيق على منصور	وليام شكسبير	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	٦٧٩-
سمير عبد ربه	وول شوينكا	سنوات الطفولة (رواية)	٦٨٠-
أحمد الشيمى	ستانلى فش	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	٦٨١-
صبرى محمد حسن	بن أوكرى	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	٦٨٢-

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكر	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (١٦ كتاباً)	أوراثيو كيروجيا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (المحراء) (٢٠ كتاباً)	أوراثيو كيروجيا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امراة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوير وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاتيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: نريدا	جيف كوليزر وبيل ماييلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روينسون وجودى جروف	إمام عبد الفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روينسون وأوسكار زاريت	إمام عبد الفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ويدفين وجودى جروف	إمام عبد الفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندريجي كروز	إمام عبد الفتاح إمام

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٨٤٣ / ٢٠٠٥